القسم الثاني

علم البيان

أ - البيان[1]: لغةً الكشفُ، والإيضاحُ، والظُّهور[2]. واصطلاحاً أصولٌ وقواعدُ يُعرف[3] بها إيراد المعنى الواحد، بطرُقٍ يختلِف بعضُها عن بعضٍ، في وُضوح الدَّلالة العقلية على نفس ذلك المعنى.

فالمعنى الواحد يُستطاع أداؤه بأساليبَ مختلفة في وُضوح الدَّلالة عليه، فإنك تقرأ في بيان فضل العلم مثلاً قول الشاعر:

- العلمُ ينهضُ بالخسيسِ إلى العلى والجهلُ يقعدُ بالفتى المنسوبِ[4]

---

(١) هو اسمٌ لكل شيء كشفَ لك بيانَ المعنى، وهتكَ لكَ الحُجُب، دون الضمير، حتى يُفضيَ السامعُ إلى حقيقته، ويَهجم على محصوله، كائناً ما كان ذلك البيان. ومن أي جنس كان ذلك الدليل، لأن مدارَ الأمر والغاية التي يجري إليها القائلُ والسامعُ، إنما هو الفهمُ والإفهام. فبأي شيء بلغتَ الإفهام، وأوضحتَ عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع. واعلمْ أنَّ المعتبر في علم البيان دقةُ المعاني المعتبرة فيها من الاستعارات والكنايات مع وضوح الألفاظ الدالة عليها . فالبيانُ هو المنطقُ الفصيح، المعرب عما في الضمير .

(٢) فإذا كان معنى البيان (الإيضاح) كان متعدياً، وإن كان بمعنى (الظهور) كان لازماً. يقال: بنيتُ الشيءَ: أوضحته. وبانَ الشيءُ: ظهر واتضح. وكذلك تقول: أبنتُ الشيءَ وأبانَ الشيءُ. وكذلك بينتُ الشيءَ: أظهرتُه. وبيّنَ الشيءُ: ظهر. وكذلك تبينتُ الشيءَ، وتباينَ الشيءُ، واستبنتُ الشيءَ، واستبانَ الشيءُ، بمعنى واحد. والتِّبيانُ بالكسر: البيان، والكشف، والإيضاح.

(٣) أي يَعرفُ من حصَّل تلك الأصول كيف يعبرُ عن المعنى الواحد بعباراتٍ بعضُها أوضَحُ من بعض . فعلمُ البيان: علمٌ يستطاعُ بمعرفتهِ إبرازُ المعنى الواحدِ بصورٍ متفاوتة . وتراكيبَ مختلفة في درجة الوضوح، مع مطابقةِ كلٍّ منها مُقْتضى الحال . فالمحيطُ بفنِّ البيان: الضَّليعُ من كلام العرب: منثورِه ومنظومِه . إذا أرادَ التعبيرَ عن أيِّ معنى يدور في خلَده ويجول بضميره، استطاعَ أن يختارَ من فنون القول، وطرقِ الكلام ما هو أقربُ لمقصده، وأليقُ بغرضه، بطريقةٍ تبينُ ما في نفسِ المتكلم من المقاصد، وتُوَصل الأثرَ الذي يريده به إلى نفس السامع في المقام المناسب له . فينالُ الكاتبُ، والشاعر، والخطيب من نفسِ مخاطبيه إذا جَوَّد قوله . وسحَرهم ببديع بيانه .

ولا بد في علم البيان من اعتبار (المطابقة لمقتضى الحال) المعتبرة في علم المعاني . فمنزلةُ (المعاني) من (البيان) منزلةُ الفصاحة من البلاغة .

(٤) صاحب النسب العريق .

ثم تقرأ في المعنى نفسه، كلامَ الإمام علي كرّم الله وجهه:

- العلم نهر، والحكمة بحر.
- والعلماءُ حولَ النَّهر يطوفون.
- والحكماءُ وسطَ البحر يغوصون.
- والعارفون في سُفنِ النّجاة يسيرون.

فتجدُ أنّ بعض هذه التراكيب أوضحُ من بعض، كما تراه يضعُ أمامَ عينيك مشهداً حسيّاً، يقرّبُ إلى فهمك ما يُريد الكلامَ عنه من فضل العلم. فهو يُشبِّهه بنهر، ويشبِّه الحكمة ببحر. ويصوِّر لك أشخاصاً طائفينَ حولَ ذلك النهر، هم العلماء. ويصوِّر لك أشخاصاً غائصينَ وسط ذلك البحر، همُ الحكماء. ويصوِّر لك أشخاصاً راكبينَ سُفناً ماخرة في ذلك البحرِ للنّجاة من مخاطرِ هذا العالم، هم أربابُ المعرفة.

ولا شكّ أن هذا المشهدَ البديعَ يستوقفُ نظرَك، ويستثيرُ إعجابَك من شدّة الرَّوعة والجمال الْمُستمدّة من التّشبيه، بفضل «البيان» الذي هو سِرُّ البلاغة.

ب - وموضوعُ هذا العلم: الألفاظُ العربية، من حيثُ التشبيهُ والمجازُ والكِنايةُ.

ج - وواضعُهُ «أبو عبيدة» الذي دوّن مسائلَ هذا العلم في كتابه المسمّى «مجاز القرآن». وما زال ينمو شيئاً فشيئاً، حتى وصلَ إلى الإمام «عبد القاهر» فأحكمَ أساسَه، وشيّدَ بناءَه، ورتّب قواعدَه، وتبعه الجاحظُ، وابنُ الْمُعْتزّ، وقُدامَةُ، وأبو هلالٍ العسكري.

د - وثمرتُه الوقوفُ على أسرار كلام العرب: منثورِه ومنظومِه، ومعرفةُ ما فيه من تَفاوُتٍ في فنون الفصاحة، وتبايُنٍ في درجاتِ البلاغة التي يصلُ بها إلى مرتبة إعجازِ «القرآن الكريم» الذي حار الجنُّ والإنسُ في مُحاكاتِه، وعجزوا عن الإتيان بمثله.

وفي هذا الفنّ أبوابٌ ومباحث.

الباب الأول

في التشبيه

تمهيد:

للتّشبيه رَوعةٌ وجمالٌ، وموقعٌ حسنٌ في البلاغة، وذلك لإخراجه الخَفيَّ إلى الجليّ، وإدنائه البعيدَ من القريب. يَزيدُ المعاني رِفعةً ووضوحاً، ويُكسبها جمالاً وفضلاً، ويكسوها شرفاً ونُبلاً، فهو فنٌّ واسع النطاق، فسيحُ الخطو، مُمتدّ الحواشي، متشعِّبُ الأطراف، مُتوعِّرُ المسلك، غامضُ المدرك، دقيقُ المجرى، غزير الجَدوى.

ومن أساليب البيان أنك إذا أردتَ إثباتَ صفةٍ لموصوف، معَ التوضيح أو وجهٍ من المبالغة، عَمدتَ إلى شيء آخرَ، تكونُ هذه الصفةُ واضحةً فيه، وعقَدتَ بينَ الاثنين مماثلةً، تجعلُها وسيلةً لتوضيح الصِّفة، أو المبالغة في إثباتها. لهذا كان التشبيهُ أوّلَ طريقةٍ تدلُّ عليه الطبيعةُ لبيانِ المعنى.

تعريف التشبيه وبيان أركانه الأربعة:

التشبيهُ لغةً: التمثيلُ. يقال: هذا شِبْهُ هذا ومَثيلُه. والتّشبيهُ اصطلاحاً: عقدُ مُماثلة بينَ أمرين، أو أكثرَ، قُصد اشتراكُهما في صفةٍ أو أكثر، بأداةٍ لغرضٍ يقصدُه المتكلِّم.

وأركانُ التشبيه أربعة:

١ - **المُشبَّه**: هو الأمرُ الذي يُرادُ إلحاقُه بغيرِه.

٢ - **المشبَّه به**: هو الأمرُ الذي يلحقُ به المشبه.

هذان الركنان يُسميان طرَفي التشبيه.

٣ - **وجه الشَّبَه**: هو الوصفُ المشتركُ بين الطرفين، ويكونُ في المشبه به أقوى منه في المشبه. وقد يُذكر وجُه الشَّبه في الكلام، وقد يُحذفُ كما سيأتي توضيحه.

٤ - **أداة التشبيه**: هي اللفظ الذي يَدُلُّ على التشبيه، ويربطُ المشبَّه بالمشبَّه به. وقد تُذكر الأداة في التشبيه، وقد تحذف، نحو: كانَ عمرُ في رَعيَّته كالميزان في العدل، وكان فيهم كالوالد في الرحمة والعطف.

تمرين

على التشبيه وبيان أركانه الأربعة

- أنتِ كالوردةِ لمساً وشَذاً[1] جادَها الغيثُ على غُصنٍ نَضِرْ
- إنّما الناسُ كالسَّوائمِ في الرِّز قِ سَواءٌ جَهولُهم والعليمُ
- أنتِ مثلُ الغصنِ ليناً وشبيهُ البَدْرِ حُسنا
  لكِ شعرٌ مِثلُ حَظِّي في سوادٍ قد تَشَنَّى
- أنتَ عندي كليلةِ القدرِ في القد رِ ولكنْ لا تستجيبُ دعائي
- العشقُ كالموتِ يأتي لا مَردَّ له ما فيهِ للعاشقِ المسكينِ تدبيرُ
- وكُنْ كالشّمسِ تظهرُ كلَّ يومٍ ولا تكُ في التَّغيُّب كالهلالِ
- بعضُ الرجال كقبرِ الْمَيْتِ تمنحهُ أعزَّ شيءٍ، ولا يعطيكَ تَعْويضا
- وخَيْلٍ تُحاكي البرقَ لوناً وسُرعةً وكالصَّخْرِ إذْ تهوي وكالماءِ في الجَرْيِ
- أعوامُ إقبالِه كاليومِ في قِصَرٍ ويومُ إعراضِهِ في الطول كالحِجَجِ
- أوردَ قلبي الرَّدى غصنُ عِذارٍ[2] بدا
  أسودُ كالكفرِ في أبيضَ مثلِ الهُدى
- لا جزى الله دمعَ عينيَ خيراً وجَزى اللهُ كلَّ خيرٍ لساني
- نَمَّ دمعي فليس يكتُمُ شيئاً ووجدتُ اللسانَ ذا كِتمانِ
  كنتُ مثلَ الكتابِ أخفاه طَيٌّ فاستَدلوا عليه بالعُنوانِ
- للوردِ عندي محلٌّ لأنّه لا يُمَلُّ
  كلّ الرّياحينِ جندٌ وَهْوَ الأميرُ الأَجَلُّ

---

(١) الرائحة الطيبة .

(٢) الشعر الموجود على الخدين، من جهة الأذنين .

إنْ غـــابَ عَـــزُّوا وبـــاهـــوا حـــتّـــى إذا عـــادَ ذَلُّـــوا

المبحث الأول

في تقسيم طرَفي التّشبيه إلى حِسّي وعقلي

طرفا التشبيه: المشبّه والمشبه به.

١ - إمّا حسّيّان[١]، أي مُدْرَكان بإحدى الحواسِّ الخمسِ الظّاهرة، نحو: أنتَ كالشمس في الضِّياءِ، وكما في تشبيه الخدِّ بالورد.

وإمّا عقليان، أي مُدركان بالعقل، نحو: العلمُ كالحياة، ونحو: «الضَّلال عن الحقّ كالعَمى»، ونحو: «الجهلُ كالموت».

---

(١) اعلم أنّ من الحسي ما لا تدركُه الحواسُّ التي هي (البصر والسمعُ والشم والذوق واللمس) ولكنْ تُدرك مادتُه فقط، ويسمى هذا التشبيه بالخيالي الذي ركّبته المتخيلةُ من أمورٍ موجودة، كلُّ واحد منها يُدرك بالحس، كقوله:

كـأنّ الـحـبـابَ الـمـسـتـديـرَ بـرأسِـهـا كـواكـبُ دُرٍّ فـي سـمـاءٍ عَـقـيـقِ

فإنّ كواكبَ دُرّ، وسماءَ عقيق، لا يدركُها الحسُّ، لأنها غيرُ موجودة، ولكن تُدرك مادتُها التي هي الدرُّ والعقيق على انفراد. والمرادُ بالحباب ما يعلو الماءَ من الفقاقيع، والضمير للخمر، ومنه أيضاً قولُ الآخر:

وكـأنّ مـحـمـرَّ الـشـقـيـ ـقِ إذا تَـصـوَّبَ أو تـصَـعَّـدْ

أعـلامُ يـاقـوتٍ نُـشِـرْ نَ عـلـى رمـاحٍ مـن زَبَـرْجَـدْ

فإن الأعلامَ والياقوتَ والزبرجدَ والرماحَ موجودةٌ، لكنّ المشبّه الذي مادّتُه هذه ليس موجوداً ولا محسوساً. والمرادُ بالعقلي ما لا يُدْرَك هو ولا مادّتُه بإحدى الحواسِّ الظاهرة، بل إدراكُه عقلاً، فيدخلُ فيه الوهميُّ وهو ما لا يُدْرك هو ولا مادّته بإحدى الحواسّ. لكن لو وُجد في الخارج لكان مدركاً بها. ويسمى هذا التشبيه بـ «الوهميّ» الذي لا وجودَ له ولا لأجزائِهِ كلِّها أو بعضِها في الخارج. ولو وُجد لكان مدركاً بإحدى الحواسِّ كقوله تعالى: ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾﴾ [الصافات: ٦٥]، وكقوله:

أيَـقْـتُـلُـنـي والـمـشـرفـيُّ مُـضـاجِـعـي ومـسـنـونـةٌ زرقٌ كـأنـيـابِ أغـوالِ؟

فإنّ أنيابَ الأغوال لم تُوجَدْ هي ولا مادّتُها، وإنما اخترعَها الوهمُ. لكن لو وُجدتْ لأدركتْ بالحواس. والمشرفيُّ: السيف. والمسنونة: السهام. والأغوال: يزعمون أنها وحوشٌ هائلةُ المنظر ولا أصلَ لها. والوجدانيات كالجوع والعطش ونحوهما، ملحقة بالعقلي. ثم التضادُّ بين الطرفين قد يُنزّل منزلةَ التناسُب، ويجعلُ وجه الشبه على وجهِ الظرافة أو الاستهزاء كما في تشبيه شخصٍ ألْكَنَ «بقسّ بنِ ساعدة» أو رجلٍ بخيل «بحاتم». والفرق بين الظرافة والاستهزاء، يُعرف بالقرائن، فإن كان الغرضُ مجردَ الظّرافةِ فظرافة، وإلا فاستهزاء.

٢ - وإمّا المشبَّهُ حِسِّيٌّ، والمشبه به عقلي، نحو: طبيب السُّوءِ كالموت.

٣ - وإمّا المشبه عقليٌّ، والمشبه به حِسِّيّ، نحو: العلمُ كالنُّور.

واعلمْ أنّ العقليّ هو ما عَدا الحسِّي، فيشملُ الْمُحقَّقَ ذهناً، كالرأي، والخلق، والحظ، والأمل، والعلم، والذكاء، والشجاعة. ويشملُ أيضاً الوهميَّ: وهو ما لا وجود له، ولا لأجزائِهِ كُلِّها، أو بعضِها في الخارج، ولو وُجد لكانَ مدركاً بإحدى الحواس.

ويشملُ الوجداني: وهو ما يُدرك بالقُوى الباطنة، كالغمِّ، والفرَح، والشِّبع، والجوع، والعطش، والرِّيّ.

المبحث الثاني

في تقسيم طرفي التّشبيه باعتبار الإفراد، والتركيب

طرفا التّشبيه «المشبه والمشبه به»:

إمّا مفردان «مُطلقان» نحو: ضوؤُه كالشمس، خدُّه كالورد، أو «مُقيدان»[(١)] نحو: الساعي بغيرِ طائلٍ كالرّاقم[(٢)] على الماء.

أو «مختلفان» نحو: ثَغرُه كاللُّؤلؤ المنظوم، ونحو: العينُ الزرقاءُ كالسِّنان. والمشبَّه هو المقيّد.

٢- وإما مركبان تركيباً لم يُمكنْ إفرادُ أجزائهما، بحيثُ يكونُ المركبُ هيئة حاصلةً من شيئين، أو من أشياءَ، تلاصَقَتْ حتى اعتبرَها المتكلمُ شيئاً واحداً، وإذا انتُزع الوجهُ من بعضها دونَ بعضٍ، اختلَّ قصد المتكلّم من التشبيه، كقوله[(٣)]:

---

(١) وتقييده بالإضافة، أو الوصف، أو المفعول، أو الحال، أو الظروف، أو بغير ذلك. ويشترط في القيد أن يكونَ له تأثيرٌ في وجه الشبه. ولهذا جُعل قولُه تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧]، من باب تشبيه المفرد بالمفردِ بلا قيد. ونحو: التعلمُ في الصغر كالنقش في الحجر.

(٢) الكاتب.

(٣) ومنه قولُ الآخر: =

كـأنّ سـهـيـلاً والـنـجـومُ وراءَهُ صُـفـوفُ صَـلاةٍ قـامَ فـيـهـا إمـامُـهـا

إذ لو قيل: كأنّ سهيلاً إمامٌ، وكأن النجومَ صفوفُ صلاة، لذهبتْ فائدة التّشبيه. أو مركبان تركيباً إذا أفردتْ أجزاؤه زالَ المقصودُ من هيئةِ «المشبه به» كما ترى في قول الشاعر الآتي، حيث شبّه النجومَ اللامعةَ في كبدِ السّماء بدرٍّ مُنتثرٍ على بساطٍ أزرق:

وكـأنّ أجْـرامَ الـنُّـجـوم لـوامـعـاً دُرَرٌ نُـثِـرْنَ عـلـى بـسـاطٍ أزْرَقِ

إذ لو قيلَ: كأنّ النُّجومَ دُرَر، وكأنّ السماءَ بساطٌ أزرق، كان التشبيه مقبولاً، لكنه قد زالَ منه المقصودُ بهيئة المشبهِ به.

٣ - **وإما مفرد بمركب**، كقول الخنساء[١]:

أغـرُّ أبـلـجُ[٢] تـأتـمُّ الـهُـداةُ بـهِ كـأنّـهُ عَـلَـمٌ فـي رأسِـهِ نـارُ

٤ - **وإما مركبٌ بمفرد**، نحو: الماء المالح كالسُّمّ[٣].

واعلمْ أنه متى رُكبَ أحدُ الطرفين لا يكادُ يكونُ الآخر مفرداً مطلقاً، بل يكون مركباً، أو مفرداً مقيداً. ومتى كان هناك تقييدٌ أو تركيبٌ كان الوجهُ مركباً ضرورةَ انتزاعه من المركب، أو من القيد والْمُقيَّد.

= كـأنّ مُـثـارَ الـنّـقْـعِ فـوقَ رؤوسِـنـا وأسـيـافَـنـا لـيـلٌ تَـهـاوى كـواكِـبُـهْ

فإنّه شبّهَ هيئةَ الغبار، وفيه السيوفُ مضطربة، بهيئةِ الليل وفيهِ الكواكبُ تتساقطُ في جهاتٍ مختلفة.

وكقول الشاعر:

كـأنّ الـدمـوعَ عـلـى خَـدّهـا بـقـيـةُ طَـلٍّ عـلـى جُـلّـنـار

فالمشبه مركبٌ من الدموع والخد، والمشبه به مركبٌ من الطلّ والجلنار.

(١) وكقوله:

وحـدائـقٍ لـبـسَ الـشـقـيـقَ نـبـاتُـهـا كـالأرجـوانِ مُـنَـقَّـطـاً بـالـعـنـبـرِ

(٢) الأبلج: صاحب الوجه الحسن.

(٣) وكقوله:

لا تَـعْـجَـبـوا مـن خـالـهِ فـي خـدِّهِ كـلُّ الـشـقـيـقِ بـنـقـطـةٍ سـوداءِ

فالمشبهُ مركبٌ من «الخال والخد»، والمشبه به مفرد وهو «الشقيق».

المبحث الثالث

في تقسيم طرفي التّشبيه باعتبار تعدُّدهما[١]

ينقسم طرفا التشبيه «المشبه والمشبه به» باعتبارِ تعدُّدِهما، أو تعدُّد أحدهما إلى أربعة أقسام: ملفوف، ومفروق، وتسوية، وجمع.

١ - **فالتشبيه الملفوف**: هو جمعُ كلِّ طرفٍ منهما مع مثلِهِ، كجمعِ المشبهِ معَ المشبه، والمشبه به مع المشبه به، بحيث يؤتى بالمشبهات معاً على طريق العطفِ، أو غيرِه، ثم يُؤتى بالمشبهات بها كذلك. كقوله:

لـيـلٌ وبـدرٌ وغـصـنٌ شـعـرٌ ووجـهٌ وقَـدُّ
خـمـرٌ ودُرٌّ ووَرْدٌ ريـقٌ وثـغـرٌ وخَـدُّ

وكقوله:

تَبسُّمٌ وقُطوبٌ في ندًى ووغًى كالغيثِ والبرقِ تحتَ العارضِ البَرِدِ

وكقوله:

وضوءُ الشُّهْبِ فوقَ الليلِ بادٍ كأطرافِ الأسِنَّة في الدروعِ[٢]

٢ - **والتشبيه المفروق**: هو جمعُ كلِّ مشبهٍ مع ما شُبِّه به، كقوله[٣]:

النَّشْرُ[٤] مسكٌ والوجوهُ دنا نيرٌ وأطرافُ الأكفِّ عَنَمْ[٥]

٣ - **وتشبيه التَّسوية**: هو أن يتعدَّدَ المشبهُ دونَ الْمُشبَّه به، كقوله:

صدغُ الحبيبِ وحالي كلاهما كالليالي
وثغرُه في صفاءٍ وأدمعي كاللآلي

سُمِّي بذلك للتّسوية فيه بينَ المشبّهات.

---

(١) متى تعدّد الطرفان معاً نتجَ تشبيهان أو أكثر، لا تشبيه واحد.

(٢) أي فقد جمعَ ضوء الشهب والليل المشبهين، مع أطرافِ الأسِنّة والدروع المشبه بهما.

(٣) ومنه قوله:

إنما النفسُ كالزجاجةِ والعلـ ـمُ سراجٌ وحكمةُ اللهِ زيتُ
فإذا أشرقتْ فإنك حيٌّ وإذا أظلمتْ فإنك مَيْتُ

(٤) الرائحة الزكية.

(٥) نوع من الأشجار.

٤ - **وتشبيه الجمع**: هو أن يتعدَّدَ المشبه بهِ دونَ المشبه، كقوله:

كأنما يَبسِمُ عن لؤلؤٍ منضَّدٍ أو بَرَدٍ أو أَقاحْ [١]

سُمِّي بتشبيه الجمع، للجمع فيه بينَ ثلاثِ مُشبَّهات بها، كقوله:

مرَّتْ بنا رَأْدَ الضُّحى تَحكِي الغزَالةَ والغَزالا

وكقوله:

ذاتُ حُسْنٍ لو استزدْتَ من الحُسـ ـنِ إليه لما أصابَتْ مَزيدا

فَهِي الشَّمسُ بهجةً والقضيبُ اللَّدْ نُ[٢] قدّاً والرِّيمُ طرفاً وجيدا

تمرين

اذكُرْ أحوالَ طرفي التشبيه فيما يأتي:

علمٌ لا ينفعُ كدواءٍ لا ينجَعُ. الصديقُ المنافقُ والابنُ الجاهلُ كلاهما كجَمْرِ الغَضا. الحقُّ سيفٌ على أهل الباطل، الحِمْيةُ من الأنام كالحِمْية من الطعام.

قال محمدُ بنُ لَنكَك البصريُّ:

قضَى الأمراءُ وانْقرضوا وبادوا وخَلَّفني الزمانُ على عُلوجِ

وقالوا: قد لزمتَ البيتَ جِداً فقلت: لفقدِ فائدةِ الخروجِ

فَمَنْ أَلْقَى إذا أبصرتُ فيهم ودارُ البَيْن في أعلى السَّروجِ

زَمانٌ عَزَّ فيه الجودُ حتّى كأنّ الجودَ في أعلى البُروجِ

- يا شبيهَ البدرِ حُسناً وضياءً ومَنالا

وشبيهَ الغصنِ ليناً وقَواماً واعتدالا

أنتَ مثلَ الوردِ لَوناً ونسيماً ومَلالا

---

(١) أي كأنّ المحبوبَ يبتسم عن أسنان كاللؤلؤ المنظوم، أو كالبردِ أو كالأقاح. فشبه الشاعرُ ثغرَ المحبوب بثلاثة أشياء: اللؤلؤ (وهو الجوهرُ المنظوم) والبرَدِ (وهو حَبُّ الغمام) والأقاح جمعُ أقحوان بضم الهمزة وفتحها، وهو زهرُ نبت طيب الرائحة، حولَه ورقٌ أبيضُ، ووسطه أصفر.

(٢) الرطب.

زارنـــا حـــتـــى إذا مـــا سَـــرّنـــا بـــالـــقـــرب زالا
- يـا صـاحِبَيَّ تَقَصَّيـا نَظَرَيْكـما تَـريـا وجـوهَ الأرضِ كـيـف تَـصَـوّرُ
تـرَيـا نـهـاراً مُـشْـمِـسـاً قـد شـابَهُ زهـرُ الـرُّبـى فـكـأنـمـا هـو مُـقْـمِـرُ[1]
- فـكـم معـنًـى بـديـعٍ تـحـتَ لـفـظٍ هـنـاكَ تـزَاوُجٌ كـلَّ ازْدِواجِ
كـراحٍ فـي زُجـاجٍ أو كـروحٍ سَـرَتْ فـي جـسـمِ مـعـتـدلِ الـمِـزاجِ
- الـخَـدُّ وردٌ والـعِـذارُ ريـاضٌ والـطَّـرْفُ لـيـلٌ والـبـيـاضُ نـهـارُ
- الـعـمـرُ والإنـسـانُ والـدنـيـا هُـمـو كـالـظـلِّ فـي الإقـبـالِ والإدبـارِ
- كـأنّ مُـثـارَ الـنَّـقْـعِ فـوقَ رؤوسِـنـا وأسـيـافَـنـا لـيـلٌ تَـهـاوى كـواكِـبُـهْ[2]
- خَـوْدٌ كـأنّ بَـنـانَـهـا فـي خُـضْـرةِ الـنَّـقْـشِ الـمُـزرَّدْ[3]
سَـمَـكٌ مـنَ الـبِـلَّـور فـي شَـبَـكٍ تَـكـوَّنَ مـن زَبَـرْجَـدْ
- كـأنّ قـلـوبَ الـطـيـر رَطـبـاً ويـابسـاً[4] لـدى وكـرِهـا الـعُـنّـابُ والـحـشَـفُ الـبـالـي
- مَـن يَـصـنَـعِ الـخـيـرَ مَـعْ مَـن لـيـسَ يَـعـرفُـه كـواقـدِ الـشَّـمـعِ فـي بـيـتٍ لِـعـمـيـانِ[5]

ملخص القول في تقسيم طرفي التشبيه:

أولاً- ينقسمُ التشبيهُ باعتبار طرفيه إلى حسيين وعقليين ومختلفين، فالحسيان يشتركان:

---

(١) يرد أن النباتَ لكثرتهِ وتكاثُفه مع شِدّة خُضرته، قاربَ لونُه السواد، وانتقصَ من ضوءِ الشمس، حتى كأنه ليلٌ مقمر . فشبهَ النهارَ المشمس الذي خالطه زهر الربى بالليل المقمر. والأولُ مركب، والثاني مفردٌ مقيّد .

(٢) شُبِّهت هيئةُ السيوف الحاصلة من علوِّها ونزولِها بسرعةٍ في وسطِ الغبارِ بهيئة كواكبَ تتساقط في ليل مظلم .

(٣) أي أنّ أصابعها المعبَّرَ عنها بالبنان قد نُقش عليها بالوَشْم ما هو كالشَّبك الزبرجديّ . أي المحيط ببياض أصابعها التي هي كالبلور . فالمفرداتُ كلُّ واحدٍ منها يُدرك بالحس، والمركب غير موجود .

(٤) يريد الشاعرُ وصفَ العقاب بكثرةِ اصطيادِهِ الطيورَ . فشبّه الطريَّ من قلوب الطير بالعناب، واليابس منها بالحشف البالي . والعنابُ: شجر له حبٌّ كحبّ الزيتون، وأحسنُه الأحمر الحلو .

(٥) ففيه التشبيه الملفوفُ حيث جمع في الشطر الأول صنيعَ الخير ومعرفته، وهما متلازمان . ثم أتى في الشطر الثاني بالمشبه به أعني وقودَ الشمع والنظرَ إلى نوره .

١ - **في صفةٍ مبصرةٍ** كتشبيه المرأة بالنهار في الإشراق، والشعرِ بالليلِ في الظلمة والسواد، كما في قول الشاعر:

فرعاءُ تسحبُ من قيامٍ شَعْرَها وتغيبُ وهو ليلٌ أسحمُ
فكأنّها فيهِ نهارٌ مشرقٌ وكأنه ليلٌ عليها مظلمُ[١]

٢ - **أو في صفة مسموعة**، نحو: غَرَّدَ تغريدَ الطيور. ونحو: سجعَ سجعَ القُمْريّ، ونحو: أَنَّ أنينَ الثَّكلى، ونحو: أسمعُ دَوِيّاً كدوِيِّ النحل، وكتشبيهِ إنقاضِ الرحل بصوت الفراريج في قول الشاعر:

كأنّ الاصواتَ مِن إيغالِهنّ بنا أواخِر الْمَيْس إنقاضُ الفراريجِ[٢]

وكتشبيه الأصواتِ الحسنة في قراءة القرآن الكريم بالمزامير.

٣ - **أو في صفة مذوقة**، كتشبيهِ الفواكه الحلوة بالعسل، وكتشبيه الريقِ بالخمر في قول الشاعر:

كأنّ المدامَ وصَوْبَ الغمامِ وريحَ الخُزامى وذَوْبَ العسَلْ
يُعَلُّ به بردُ أنيابها إذا النجمُ وسطَ السماءِ اعتَدلْ[٣]

٤ - **أو في صفة ملموسة**، كتشبيه الجسم بالحرير في قول ذي الرمة:

لها بشَرٌ مثلُ الحريرِ ومَنْطِقٌ رخيمُ الحواشي لا هُراءٌ ولا نَزْرُ[٤]
وعينانِ قال الله: كونا، فكانتا فَعولانِ بالألبابِ ما تفعلُ الخمرُ

٥ - **أو في صفة مشمومة**، كتشبيهِ الرَّيحان بالمسك، والنكهة بالعنبر.

والعقليان: هما اللذان لم يُدركا، هما ولا مادتهما بإحدى الحواس،

---

(١) امرأة فرعاء: كثيرة الشعر . وأسحم: أسود، من سحم كتعب .

(٢) الميس: الرحل . والإنقاض: قيل: صوت الفراريج الضئيل، وقيل: صوت الحيوان . والنقضُ: صوت الحيوان كالرحل . والفراريج: جمع فروج وهو فرخ الدجاجة . وتقدير البيت: كأنّ أصواتَ أواخرِ الميسِ من إيغالهن بنا إنقاض الفراريج .

(٣) المدام: الخمر . والصوب: من صاب المطر يصوب: إذا انصبَّ بكثرة ونزل . والخزامى: نبت طيب الرائحة . والعلل: الشرب الثاني، يقال: عَلل بعد نَهل .

(٤) رخيم الحواشي: مختصر الأطراف . والهُراء (بضم الهاء): المنطق الكثير، وقيل: المنطق الفاسد الذي لا نظامَ له .

وذلك كتشبيه السَّفر بالعذاب، والضّلال عن الحقّ بالعمى، والاهتداء إلى الخير بالإبصار.

والمختلفان: إما أن يكون المشبه عقلياً والمشبه به حسياً، كتشبيه الغضب بالنار من التلظّي والاشتعال، وكتشبيه الرأي بالليل في قول الشاعر:

الرأيُ كالليل مُسْوَدٌّ جوانبُهُ والليلُ لا يَنْجَلي إلا بإصباحِ

وإما أن يكونَ المشبهُ حسياً والمشبه به عقلياً، كتشبيه الكلامِ بالخلقِ الحسنِ، وكتشبيه العطرِ بخلقِ الكريمِ في قول الصاحب بن عباد:

أُهديتُ عِطراً مثلَ طيبِ ثنائهِ فكأنما أهدى له أخلاقَهُ[1]

ثانياً- ينقسمُ التشبيهُ باعتبارِ طرفيهِ إلى مفردينِ مطلقينِ، أو مقيدينِ أو مختلفين، وإلى مركبين أو مختلفين.

فالمفردانِ المطلقان كتشبيهِ السماء بالدهانِ في الحمرة، في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ﴾[2][3].

وكتشبيهِ الكَشْح بالجديل، والساقِ بالأنبوب، في قول امرئ القيس:

وكشحٍ لطيفٍ كالجديلِ مُخَصَّرٍ وساقٍ كأُنبوبِ السَّقِيِّ المُذَلَّلِ[4]

والمقيدان بوصف، أو إضافة، أو حال، أو ظرف، أو نحو ذلك، كقولهم فيمن لا يحصلُ من سعيه على فائدة: هو «كالراقم على الماء». فالمشبه هو الساعي على هذه الصفة، والمشبهُ به هو الراقم بهذا القيد. ووجه الشبه التسويةُ بين الفعل والترك في الفائدة، وكقوله:

---

(١) الثناء يشبه بالعطر، لكنه اعتبرَ المعقولَ كأنه محسوسٌ، وجعله كالأصل لذلك المحسوس مبالغة، وتخيُّله شيئاً له رائحة، وشبه العطر به .

(٢) الدهان: الجلد الأحمر .

(٣) سورة الرحمن، الآية ٣٧ .

(٤) الكشح: ما بين الخاصرة إلى الضلع (الأضلاع وآخرها)، وهو من لَدنِ السُّرة إلى المتن . الجديل: الزمام المجدول من أدم . وقيل: حبل من أدم، أو شعر في عنق البعير . ومخصر: دقيق . السقي: البَرْدي واحده سقية . المذلل: الذي ذُلل بالماء حتى طاوعَ كلَّ مَن مَدَّ إليه يده . قال الوزير أبو بكر عاصم بن أيوب في شرحه لديوان امرئ القيس: شبه كشحَ المرأة بالزمام في اللين والتثني واللطافة، وشبه ساقها ببرديٍّ قد نبت تحتَ نخل . والنخل تظلله من الشمس، والوجهَ بالبياض .

والشمسُ من بينِ الأراكِ قد حكتْ سيفاً صقيلاً في يدٍ رَعْشاءِ[١]

والمختلفان والمشبه به هو المقيد، كما في قول ذي الرمة:

قفِ العيسَ في أطلالِ ميةَ فاسألِ رُسوماً كأخلاقِ الرداءِ المسلسلِ[٢]

أو المشبه هو المقيد، كما في قول الشاعر:

كأنّ فِجاجَ الأرضِ وَهْيَ عَريضةٌ على الخائفِ المَطلوبِ كِفَّةُ حابلِ[٣]

والمركبان كقول الشاعر:

البدرُ منتقبٌ بغيمٍ أبيضٍ هوَ فيهِ بينَ تفجُّرٍ وتَبَلُّجِ

كتنفُّسِ الحسناءِ في المرآةِ إذ كملتْ محاسنُها ولم تتزوَّجِ

والمختلفان والمشبه مفرد، كقوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ أَعْمَـٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾[٤]، وكقول الشاعر:

أغرُّ أبلجُ تأتمُّ الهُداةُ بهِ كأنّه علَمٌ في رأسِهِ نارُ

أو المشبه به مفرد، كقول أبي الطيب المتنبي:

تُشرِقُ أعراضُهم وأوْجُهُهمْ كأنّها في نفوسِهم شِيَمُ

شبّه إشراقَ الأعراض والوجوهِ بإشراقِ الشِّيَم (الأخلاق الطيبة). فإشراقُ الوجوه ببياضها، وإشراق الأعراض بشرفها وطيبها.

ثالثاً- التشبيه ينقسم باعتبار طرفيه إلى:

(١) **ملفوف**: وهو ما أتى فيه بالمشبهات أولاً على طريق العطف، أو غيره، ثم بالمشبهات بها كذلك. كقول الشاعر:

---

(١) الأراك: الشجر من الحمض يُستاك بقضبانه، واحدته أراكة، وجمعها أراك.

(٢) العيس: كرام الإبل، وقيل: الإبل البيض، يخالطُ بياضَها شقرةٌ أو ظلمة خفية. والأطلال: جمع طلل وهو الشاخصُ من آثار الديار. والرسم: ما كان لاصقاً بالأرض من آثار الديار. وأخلاق: جمع خلَق (بفتح اللام) وهو الثوب البالي. والمسلسل: الرقيق، من تسلسلَ الثوبُ: لُبِس حتى رقّ.

(٣) الفجاج: جمع فجّ الطريقُ الواسع الواضح بين جبلين. والكفّةُ: ما يُصادُ به (الشبكة). والحابل: الصياد.

(٤) سورة إبراهيم، الآية ١٨.

لـيـلٌ وبـدرٌ وغـصـنٌ شـعـرٌ ووجـهٌ وقَـدُّ
خـمـرٌ ودُرٌّ وورْدٌ ريـقٌ وثـغـرٌ وخَـدُّ

شبهَ الليلَ بالشعر، والبدرَ بالوجه، والغصنَ بالقدِّ في البيت الأول، والخمرَ بالريق، والدرَّ بالثغر، والوردَ بالخد في البيت الثاني. وقد ذكرَ المشبّهات أولاً، والمشبهات بها ثانياً كما ترى في نظم الشاعر.

(٢) **وإلى مفروق**، وهو ما أتى فيه بمشبه ومشبه به ثم بآخر وآخر كقول أبي نواس:

يَبكي فيذْري الدُّرَّ من نرجسٍ ويمسحُ الوَرْدَ بِعُنّابِ

شبّه الدمعَ بالدرِّ لصفائه، والعين بالنرجس، لما فيه من اجتماع السوادِ بالبياض، والوجه بالورد.

رابعاً- ينقسم التشبيه أيضاً باعتبار طرفيه إلى:

١ - **تشبيه التسوية**: وهو ما تعدَّد فيه المشبه، كقول الشاعر:

صدغُ الحبيب وحالي كلاهما كالليالي
وثغرُه في صفاءٍ وأدْمُعي كاللآلي[١]

شبهَ في الأول صدغَ الحبيب وحالَه هو بالليالي في السواد. وفي الثاني شبّه ثغرَ الحبيب ودموعَه، باللآلي في القدر والإشراق.

٢ - **تشبيه الجمع**: وهو ما تعدد فيه المشبّه به كقول البحتري:

باتَ نديماً لي حتى الصّباحْ أغيدُ مجدولُ مكان الوِشاحْ
كأنّما يبسمُ عن لؤلؤٍ مُنَضَّدٍ أو بَرَدٍ أو أقاحْ[٢]

---

(١) الصُدغ (بضم الصاد) ما بينَ العين والأذن . والشعر المتدلي على هذا الموضع هو المراد هنا . والثغر: يطلق على الفم، وعلى الأسنان في منابتها، والمرادُ الثاني .

(٢) الأغيد: الناعمُ البدن . والمجدول: المطوي غيرُ المسترخي، والمرادُ لازمُه، وهو ضامرُ البطن والخاصرتين . والوشاح: شبهُ قلادةٍ ينسجُ من جلدٍ عريض يرصَّعُ بالجواهر تشدُّه المرأةُ في وسطها أو على المنكب الأيسر معقوداً تحتَ الإبطِ الأيمنِ للزينة . والمنضد: المنظم . والبرد: حب الغمام . والأقاح: بفتح الهمزة وضمها نبات له زهر أبيض، في وسطه كتلة صغيرة صفراء . وأوراق زهره مُفلجة صغيرة، واحدته أُقحوانة (بضم الهمزة).

شبه ثغرَه بثلاثة أشياء: باللؤلؤ، والبرد، والأقاح. وقد تقدّم الكلامُ على هذه الأقسام.

المبحث الرابع

في تقسيم التشبيه باعتبار وَجه الشبه

وجهُ الشَّبه: هو الوصفُ الخاصُّ[1] الذي يُقْصد اشتراكُ الطرفينِ فيه

---

(١) إما «حقيقة» كالبأس في قولك: «زيد كالأسد»، وإما «تخيلاً» كما في قوله:

يا مَن له شعرٌ كحظّي أسودٌ جسمي نحيلٌ من فراقِكَ أصفرُ

فإن وجه الشبه فيه بينَ الشعرِ والحظِّ هو السواد. وهما يشتركان فيه. لكنه يوجد في المشبه تحقيقاً، ولا يوجد في المشبه به إلا على سبيل التخييل، لأنه ليس من ذواتِ الألوان. ثم اعلمْ أنّ وجه الشبه، إما داخل في حقيقة الطرفين، وذلك كما في تشبيهِ ثوبٍ بآخر، في جنسهما أو نوعهما أو فصلهما، كقولك: هذا القميصُ مثلُ ذلك، في كونهما كتاناً أو قطناً. وإما خارجٌ عن حقيقتهما وهو ما كان صفةً لهما (حقيقةً). وهي قد تكون حسيةً كالحمرة في تشبيهِ الخدِّ بالورد، وقد تكون عقليةً كالشجاعة في تشبيه الرجل بالأسد، أو إضافيةً، وهي ما ليست هيئةً متقرّرة في الذات، بل هي معنى متعلّقٌ بها كالجلاء في تشبيه البيِّنة بالصبح. ثم إن وجه الشبه قد يكون واحداً، وقد يكونُ بمنزلة الواحد «لكونه مركباً من متعدد». وقد يكونُ متعدداً. وكلٌّ من ذلك قد يكونُ حسياً وقد يكون عقلياً.

«أما الواحدُ» فالحسيُّ منه كالحمرة في تشبيهِ الخدّ بالورد، والعقليُّ كالنفع في تشبيه العلم بالحياة.

«وأما المركب» فالحسيُّ منه قد يكون مفردَ الطرفين، كما في قوله:

وقد لاحَ في الصُّبحِ الثريّا كما تَرى كعنقودِ مُلّاحِيَّةٍ حينَ نَوَّرا

فإن وجه الشبه فيه هو الهيئة الحاصلةُ من التئام الحَبَب البيض الصغيرةِ المستديرةِ المرصوصِ بعضُها فوقَ بعضٍ على الشكل المعلوم. وكِلا الطرفينِ مفردٌ، وهما الثريا والعنقودُ. وقد يكونُ مركبَ الطرفين كما في قوله:

والبدرُ في كبدِ السماءِ كدِرْهمٍ مُلقًى على ديباجةٍ زرقاءِ

فإن وجه الشبه فيه هو الهيئةُ الحاصلَة من طلوع صورةٍ بيضاءَ مشرقةٍ مستديرة في رُقعةٍ زرقاء مبسوطة. وكلا الطرفين مركبٌ أوّلُهما من البدر والسماء، والثاني من الدرهم والديباجة. وقد يكون مختلفَ الطرفين كقوله:

وحدائقٍ لبسَ الشقيقَ نباتُها كالأرجوانِ مُنَقَّطاً بالعنبر

فإن وجه الشبه هو الهيئة الحاصلةُ من انبساطِ رقعةٍ حمراءَ قد نُقطت بالسواد منثوراً عليها. والمشبهُ مفردٌ وهو الشقيق، والمشبهُ به مركب من الأرجوان والعنبر. وكقوله:

لا تَعْجبوا مِن خالِه في خدِّهِ كلُّ الشقيقِ بنقطةٍ سوداءِ

فإن وجه الشبه فيه هو الهيئة الحاصلة من طلوع نقطةٍ سوداءَ مستديرةٍ في وسط رُقعةٍ =

كالكرم في نحو: خليلٌ كحاتِم، ونحو: لهُ سيرةٌ كالمسك، وأخلاقه كالعنبر.

واشتراكُ الطرفين قد يكون ادِّعائيّاً بتنزيلِ التَّضاد منزلةَ التّناسب، وإبرازِ الخسيسِ في صورة الشريف تهكماً أو تمليحاً. ويظهرُ ذلك من المقام.

وينقسمُ التشبيهُ باعتبار وَجهِ الشبه إلى:

١ - **تشبيه تَمثيل**: وهو ما كان وجهُ الشَّبهِ فيه وصفاً مُنْتزعاً من متعدِّد، حسياً كان أو غيرَ حسيّ، كقوله:

وما المرءُ إلا كالشِّهابِ وَضوئِهِ يُوافي تمامَ الشَّهرِ ثم يغيبُ

فوجه الشَّبه سُرْعةُ الفَناء، انتزعهُ الشاعر من أحوالِ القمرِ المتعدِّدة، إذ يَبدو هلالاً، فيصيرُ بدراً، ثم ينقصُ، حتى يدركَه المَحَاق. ويسمى تشبيه التمثيل.

٢ - **وتشبيه غيرُ تمثيل**: وهو ما لم يكن وجهُ الشَّبه فيه صورةً مُنتزعةً من مُتعدد، نحو: وَجهُه كالبدر، وكقول الشاعر:

= حمراءَ مبسوطة . والمشبهُ مركبٌ من الخالِ والخَدِّ، والمشبهُ به مفردٌ وهو الشقيقُ . والعقليُّ من المركب كما في قوله:

والمستجيرُ بعمرٍو عندَ كُربتهِ كالمستجيرِ من الرَّمضاءِ بالنارِ

فإنّ وجه الشبه هو الهيئة الحاصلةُ من الالتجاءِ من الضارِّ إلى ما هو أضرُّ منه طمعاً في الانتفاع به. ووجهُ الشبهِ مركبٌ من هذه المتعدِّدات في الجميع . والرمضاءُ: الأرض التي أسختها حرارةُ الشمس الشديدة، والمرادُ «بعمرو» هنا هو جساسُ بنُ مرّةَ البكري . يقال: إنه لما رمى كليبَ بنَ ربيعةَ التغلبيَّ وقف على رأسه فقال له: «يا عمرو أغِثْني بشربة ماءٍ» فأتمّ قتله.

وأما المتعددُ، فالحسي منه كما في قوله:

مهفهفٌ وجنتاهُ كالخمرِ لوناً وطعما

والعقلي كالنفع والضرر في قوله:

طلقٌ شديدُ البأسِ راحتُه كالبحرِ فيهِ النفعُ والضررُ

فإن وجه الشبه فيهما متعدِّدٌ وهو اللون والطعم في الأول . والنفع والضرر في الثاني . وقد يجيء المتعددُ مختلفاً كما في قوله:

هذا أبو الهيجاءِ في الهيجاءِ كالسيف في الرونقِ والمَضاءِ

فإن وجه الشبه فيه هو الرونقُ وهو حسي، والمَضاء وهو عقلي . وأبو الهيجاء لقبُ عبدِ الله بنِ حمْدان العدوي، والهيجاءُ من أسماءِ الحرب .

واعلمَ أن الحسيَّ لا يكون طرفاه إلا حِسِّيين، وأما العقلي فلا يلزمُه كونُهما عقليين، لأن الحسي يُدرك بالعقل، خلافاً للعقلي فإنه لا يدرك بالحس .

لا تَطْلُبَنّ بآلةٍ لكَ رُتبةً قلَمُ البليغِ بغيرِ حظٍّ مِغْزَلُ

فوجه الشّبه قلّةُ الفائدة، وليس منتزعاً من مُتعدّد.

٣ - **ومُفصَّلٌ**: وهو ما ذُكر فيه وجه الشبه، أو ملزومُه، نحو: « طبعُ فريدٍ كالنسيم رِقّةً، ويدُه كالبحر جوداً، وكلامُه كالدُّرِّ حسناً، وألفاظُه كالعسل حلاوةً». وكقول ابن الرومي:

يا شبيهَ البدر حُسْناً وضياءً ومَنالا وشبيهَ الغُصْنِ لِيناً وقواماً واعتدالا

٤ - **ومُجمل**: وهو ما لا يُذكر فيه وجهُ الشبه، ولا ما يستلزمُه، نحو: «النحو في الكلام كالملح في الطعام». فوجهُ الشبه هو الإصلاح في كلٍّ. وكقوله:

إنّما الدنيا كبيتٍ نسجهُ مِنْ عنكبوتِ

واعلم أنّ وجهَ الشبه المجمل إمّا أن يكون خفيّاً، وإمّا أن يكونَ ظاهراً ومنه ما وُصف فيه أحدُ الطرفين أو كلاهما بوصف يُشْعر بوجهِ الشبه. ومنه ما ليس كذلك.

٥ - **وقريبٌ مُبتذلٌ**: وهو ما كان ظاهرَ الوجه يَنْتَقِلُ فيه الذِّهنُ من المشبَّه إلى المشبه به، من غير احتياجٍ إلى شدةِ نظرٍ وتأمُّل، لظهورِ وجهه بادئَ الرَّأي. وذلك لكون وجههِ لا تفصيلَ فيه، كتشبيه الخدِّ بالورد في الحُمرة، أو لكون وجهه قليلَ التفصيل، كتشبيهِ الوجهِ بالبدر، في الإشراق أو الاستدارة، والعيون بالنَّرْجس.

وقد يُتَصرَّفُ في القريب بما يُخرجُه عن ابتذاله إلى الغرابة، كقول الشاعر:

لم تلْقَ هذا الوجهَ شمسُ نهارِنا إلا بوجهٍ ليس فيه حَياءُ

فإن تشبيه الوجه الحسن بالشمس مُبتذل، ولكنّ حديث الحياءِ أخرجه إلى الغرابة.

وقد يخرجُ وجه الشبه من الابتذال إلى الغرابة، وذلك بالجمع بين عدّة تشبيهات، كقول الشاعر:

كأنّما يبسِمُ عن لؤلؤٍ مُنضَّدٍ أو بَرَدٍ أو أقاحْ

أو باستعمال شرطٍ، كقوله:

عـزمـاتُـه مـثـلُ الـنُّـجـومِ ثَـواقـبـاً لـو لـم يـكـنْ لـلـثّـاقـبـاتِ أُفـولُ

٦ - **وبعيدٌ غريبٌ**: وهو ما احتاجَ في الانتقال من المشبه إلى المشبه به، إلى فكرٍ وتدقيقِ نظَر، لخفاء وجهه بادئَ الرأي، كقوله:

والـشّـمـسُ كـالـمرآةِ في كفِّ الأشَلّ

فإن الوجه فيه هو الهيئةُ الحاصلةُ من الاستدارة مع الإشراق والحركة السريعة المتصلة مع تموُّج الإشراق، حتى ترى الشُّعاع كأنه يهمُّ بأن ينبسطَ حتى يفيضَ من جوانب الدائرة، ثم يبدو له فيرجعُ إلى الانقباض.

وحكمُ وجه الشبه أن يكون في المشبه به أقوى منه في المشبه، وإلا فلا فائدة في التشبيه.

تمرين

بيِّن أركان التشبيه وأقسام كلٍّ منها فيما يلي:

- ومكلَّفُ الأيام ضدَّ طباعِها مُتَطلِّبٌ في الماءِ جَذْوةَ نارِ
- والدَّهرُ يَقرَعُني طوراً وأقرعُهُ كأنّه جبلٌ يهوي إلى جبل[١]
- فإنْ أغْشَ قوماً بعدَه أو أزورُهُمْ فكالوحشِ يُدنيها من الأنَسِ المحْلُ[٢]
- الشمسُ من مشرقها قد بَدَتْ مُشرقةً ليسَ لها حاجبُ
  كأنها بوتقةٌ أُخمِيَتْ يجولُ فيها ذهبٌ ذائبُ[٣]

- قالت أعرابية تصفُ بَنيها: «هم كالحَلْقةِ المُفرَغة لا يُدرى أين طرفاها».

- عزماتُهم قُضُبٌ وفَيْضُ أكفِّهم سُحُبٌ وبيضُ وجوههم أقمارُ[٤]

- قال علي كرّم الله وجهه: «مَثَلُ الذي يَعلم الخيرَ ولا يعملُ به مَثَلُ السِّراجِ يُضيءُ للناس ويُحرقُ نفسَه».

---

(١) يقرع: يضرب.
(٢) الأنس (محركة): من تأنسُ به جمعه آناس. ولغةً في الإنس بالكسر، والمحل: الجدب.
(٣) الحاجب: المانع. والبوتقة: الوعاء الذي يذيبُ فيه الصائغُ الذهب.
(٤) قضب: جمع قضيب وهو السيف القطاع.

- قال صاحبُ كليلة ودِمْنة: « الدنيا كالماءِ المِلْح، كلّما ازددتَ منه شُرباً ازددتَ عطشاً».

- فانهضْ بنارٍ إلى فحمٍ كأنّهما ... في العين ظُلمٌ وإنصافٌ قدِ اتّفقا
- فتراه في ظُلَم الوغَى فتخاله ... قمراً يكُرُّ على الرجال بكوكبِ[1]
- كأنّ الثُّريّا في أواخِر ليلها ... تَفَتُّحُ نَوْرٍ أو لِجامٌ مُفَضَّضُ
- كأن الدُّموع على خدِّها ... بقيّةُ طلٍّ على جُلَّنارْ[2]
- صَخْوٌ وغيم وضياءٌ وظُلَمْ ... مثلُ سُرورٍ شابَهُ عارضُ غَمّ

المبحث الخامس

في تشبيه التمثيل

تشبيه التمثيل: أبلغُ من غيره، لِما في وجههِ من التفصيل الذي يحتاجُ إلى إمعانِ فكرٍ، وتدقيقِ نظر. وهو أعظمُ أثراً في المعاني، يرفعُ قدرها، ويُضاعفُ قواها في تحريك النفوس لها. فإن كان مدحاً كان أوقعَ، أو ذمّاً كان أوجعَ، أو بُرهاناً كان أسطعَ. ومن ثَمّ يحتاجُ إلى كدِّ الذهنِ في فهمه، لاستخراج الصورة المنتزعة من أمورٍ متعددة، حسّيّةً كانت أو غيرَ حسية، لتكون (وجهَ الشبه) - كقول الشاعر:

ولاحتِ الشمسُ تَحكي عندَ مَطْلعها ... مرآةَ تِبرٍ بدَتْ في كفِّ مرتعشِ

فمثّل الشمسَ، حين تطلع حمراءَ لامعةً مضطربةً، بمرآةٍ من ذهبٍ تضطرب في كفٍّ ترتعش.

وتشبيه التمثيل نوعان:

الأول: ما كان ظاهرَ الأداة، نحو: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾[3]. فالمشبه هم الذين حُمِّلوا التوراة ولم يعقلوا ما بها، والمشبه به الحمار الذي يحملُ الكتبَ النافعة، دون

(١) الكوكب: هنا السيف .
(٢) الطل: المطر الضعيف . والجلنار: زهر الرمان، واحدته جلنارة (فارسي معرب) .
(٣) سورة الجمعة، الآية ٥ .

استفادته منها، والأداةُ الكافُ، ووجهُ الشبه الهيئةُ الحاصلة من التعب في حمل النافع دون فائدة.

الثاني: ما كان خفيَّ الأداة، كقولك للَّذي يتردّد في الشيء بينَ أن يفعله، وألا يفعله: «أراكَ تُقَدِّم رجلاً وتُؤخِّرُ أخرى». إذ الأصلُ: أراك في تردُّدِك مثلَ مَن يُقدِّم رجلاً مرة، ثم يؤخِّرُها مرة أخرى.

فالأداةُ محذوفة، ووجهُ الشَّبَه هيئةُ الإقدام والإحجام المصحوبين بالشكّ.

مواقع تشبيه التمثيل

لتشبيه التمثيل موقعان:

١ - أن يكون في مُفتَتح الكلام، فيكونُ قياساً مُوضِّحاً، وبرهاناً مصاحباً. وهو كثيرٌ جداً في القرآن، نحو: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ﴾[1].

٢ - ما يجيءُ بعد تمام المعاني، لإيضاحها وتقريرها، فيُشبِه البُرهانَ الذي تَثبُتُ به الدَّعوى، نحو:

وما المالُ والأهلونَ إلا وَدائع ... ولا بدّ يوماً أن تُردّ الودائعُ

ونحو:

لا ينزلُ المجدُ إلا في مَنازلنا ... كالنَّوم ليسَ له مأوًى سِوى المُقَلِ

تأثير تشبيه التمثيل في النفس

إذا وقعَ التَّمثيلُ في صَدْرِ القول بعث المعنى إلى النَّفس بوضوحٍ وجَلاءٍ مؤيَّدٍ بالبرهان، ليقنعَ السّامع. وإذا أتى بعدَ استيفاء المعاني كان:

١ - إمّا دليلاً على إمكانها، كقول المتنبي:

وما أنا منهمُ بالعيش فيهمْ ... ولكنْ مَعدِنُ الذَّهَبِ الرَّغامُ[2]

٢ - وإمّا تأييداً للمعنى الثابت، نحو:

---

(١) سورة البقرة، الآية ٢٦١ .

(٢) لما ادّعى أنه ليس منهم معَ إقامته بينهم، وكان ذلك يكادُ يكونُ مستحيلاً في مجرى العادة، ضربَ لذلك المثَل بالذهبِ فإن مقامه في التراب، وهو أشرف منه .

تَرجو النَّجاةَ ولم تَسْلُكْ مسالكَها إنّ السفينةَ لا تجري على اليَبَسِ

وعلّة هذا أنّ النّفس تأنَسُ إذا أخرجْتَها من خفيٍّ إلى جَليٍّ، وممّا تجهلهُ إلى ما هيَ به أعلم.

ولذا تجدُ النفسُ منَ الأريحيَّة ما لا تَقدُرُ قَدرَهُ، إذا سمعتْ قولَ أبي تمام:

وطُولُ مُقامِ المرءِ في الحيِّ مُخْلِقٌ لِدِيباجتَيْهِ، فاغتَرِبْ تتجَدَّدِ

فإنّي رأيتُ الشمسَ زِيْدتْ محبّةً إلى النّاسِ أنْ ليستْ عليهم بسَرْمَدِ[1]

وبعدُ، فالتمثيلُ يُكسبُ القولَ قُوّةً، فإنْ كان في المدح كان أهزَّ للعطف، وأنبَلَ في النفس. وإنْ كان في الذمّ كان وقعُه أشدَّ، وإن كان وعظاً كان أشفى للصدر، وأبلغَ في التنبيه والزجر. وإن كان افتخاراً كان شأوُه أبعدَ، كقول مَن وصف كأساً عَلاها الحباب:

وكأنّها وكأنّ حاملَ كأسِها إذْ قامَ يَجلوها على النُّدَماءِ

شمسُ الضحى رقصَتْ فنَقّطَ وجهَها بدرُ الدُّجى بكواكبِ الجَوزاءِ

المبحث السادس

في أداوت التشبيه[2]

أداوت التّشبيه: هي ألفاظٌ تدلُّ على المماثلة، كالكاف، وكأنّ، ومِثل، وشِبه، وغيرها، مما يؤدّي معنى التّشبيه، كيحكي، ويُضاهي، ويُضارع، ويُماثل، ويُساوي، ويُشابه، وكذا أسماءُ فاعلها.

فأداوتُ التشبيه: بعضُها اسم، وبعضها فِعْلٌ، وبعضها حرف. وهي إمّا ملفوظةٌ، وإما ملحوظةٌ، نحو: فاروقُ كالبدر، وأخلاقُه في الرِّقة مثل النَّسيم. ونحو: اندفعَ الجيشُ اندفاعَ السّيل، أي كاندفاعه.

---

(١) الديباجتان: الخدان . والسرمد: الدائم .

(٢) التشبيه يفيد التفاوتَ . وأما التشابه فيفيدُ التساوي بلفظ: تشابهُ، وتماثلُ، وتشاكل، وتساوي، وتضارع، وكذا بقولك: كلاهما سَواء، لا بما كان له فاعلٌ ومفعول به، مثل: شابه، وساوى . فإنّ في هذا إلحاقَ الناقص بالزائد .

والأصلُ في الكاف، ومثل، وشِبه، من الأسماء المضافة لما بعدها، أنْ يليها المشبهُ به لفظاً[١] أو تقديراً.

والأصل في كأنّ، وشابه، ومائل، وما يُرادفُها، أنْ يليها المشبهُ، كقوله:

كـأنّ الـثـريـا راحَـةٌ تَـشْـبُـرُ الـدُّجـى لِتنظرَ طالَ الليلُ أمْ قد تعرَّضا

وكأنّ: تُفيد التشبيه، إذا كان خبرُها جامداً، نحو: كأنّ البحر مرآة صافية.

وقد تفيدُ الشكّ، إذا كان خبرُها مشتقّاً، نحو: كأنّك فاهمٌ، وكقوله:

كـأنّـك مـن كـلِّ الـنّـفـوسِ مـركَّـبٌ فـأنـتَ إلـى كـلِّ الـنـفـوسِ حَـبـيـبُ

وقد يغني عن أداة التّشبيه «فعلٌ» يدلُّ على حالِ التشبيه، ولا يعتبرُ أداة. فإن كان الفعلُ لليقين أفادَ قُربَ المشابهة، لِما في فعل اليقين من الدَّلالة على تيقُّن الاتحادِ وتحقُّقه. وهذا يُفيد التشبيه مبالغةً، نحو: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾[٢]. ونحو: رأيتُ الدنيا سَراباً غرّاراً.

وإن كان الفعل للشكّ أفادَ بُعدَها، لِما في فعل الرُّجحان من الإشعار بعدم التحقُّق. وهذا يفيد التشبيه ضعفاً، نحو: ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾[٣]. وكقوله:

قومٌ إذا لبسُوا الدُّروعَ حَسِبْتَها سُحُباً مزرَّدةً على أقمارِ

ونحو قوله تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾﴾[٤]. ونحو قوله تعالى: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٢٤﴾﴾[٥]. وكقول الشاعر:

---

(١) وقد يليها غيرُ المشبه به إذا كان التشبيهُ مركباً، أي هيئةً منتزعةً من متعدِّد، وذُكر بعدَ الكاف بعضُ ما تُنتزع منه تلك الهيئة كقوله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ﴾ [الكهف: ٤٥]، فإن المراد تشبيه حال الدنيا في حُسن نضارتها وبهجةِ رُوائها في المبدأ. وذهابِ حسنها وتلاشي رونقها شيئاً فشيئاً في الغاية، بحال النبات الذي يحسُنُ من الماء، فتزهو خضرته، ثم ييبسُ شيئاً فشيئاً، ثم يتحطّم فتطيِّره الرياح، فيصيرُ كأن لم يكن شيئاً مذكوراً، بجامع الهيئة الحاصلة في كلٍّ من حُسنٍ وإعجابٍ ومنفعةٍ، يعقبها التلف والعدم.

(٢) سورة الأحقاف، الآية ٢٤.

(٣) سورة الإنسان، الآية ١٩.

(٤) سورة الواقعة، الآيتان ٢٢ و ٢٣.

(٥) سورة الرحمن، الآية ٢٤.

والـوجـهُ مـثـلُ الـصُّـبـح مُـبْـيَـضٌّ والـفَـرْعُ[١] مـثـلُ الـلـيـلِ مُـسـوَدُّ
ضِـدّانِ لَـمّـا اسـتُـجـمـعـا حَـسُـنـا والـضِّـدُّ يُـظـهِـرُ حُـسْـنَـه الـضِّـدُّ

المبحث السابع

في تقسيم التشبيه باعتبار أداته

ينقسمُ التشبيه باعتبار أداته إلى:

أ - **التشبيه المُرسَل**[٢]: وهو ما ذُكرت فيه الأداةُ، كقول الشاعر:

إنـمـا الـدنـيـا كـبـيـتٍ نَـسَـجُـه مِـن عـنـكـبـوتِ

ب - **التشبيه المؤكَّد**: وهو ما حُذفتْ منه أداتُه، نحو: يَسجعُ سجعَ القُمْريِّ، وكقول الشاعر:

أنـتَ نـجـمٌ فـي رفـعـةٍ وضِـيـاءِ تـجـتـلـيـكَ الـعـيـونُ شـرقـاً وغـربـا

ومن المؤكد ما أضيفَ فيه المشبهُ به إلى المشبه، كقول الشاعر:

والريحُ تَعْبَثُ بالغصونِ وقد جرى ذهبُ الأصيلِ على لُجينِ[٣] الماءِ

أي أصيلٌ كالذهبِ على ماءِ اللُّجين.

والمؤكد أوجزُ وأبلغُ، وأشدُّ وقعاً في النفس.

أمّا أنه أوجز فلحذفِ أداته، وأمّا أنه أبلغُ فلإيهامِهِ أنّ المشبه عينُ المشبه به.

التشبيه البليغ

ج - **التشبيه البليغُ**: ما بلغَ درجةَ القبول لحُسنه، أو الطِّيِّب الحسن. فكلّما كانَ وجهُ الشبه قليلَ الظهور، يحتاج في إدراكهِ إلى إعمالِ الفكرِ، كان ذلك أفعلَ في النفس، وأدعى إلى تأثُّرها واهتزازها، لِمَا هو مركوزٌ في الطبع، من أنّ الشيء إذا نِيلَ بعدَ الطلب له، والاشتياق إليه، ومُعاناةِ الحنين نحوه، كان نَيْلُه أحلى، وموقعُه في النفس أجلَّ وألطف، وكانت به أضنَّ وأشغفَ، وما

---

(١) الشَّعْر.

(٢) وسمي مرسَلاً: لإرساله عن التأكيد.

(٣) الأصيل: الوقت بين العصر إلى المغرب. واللجين: الفضة.

أشبه هذا الضربَ منَ المعاني بالجوهرِ في الصَّدَف، لا يبرزُ إلا بعد أن تَشُقَّه عنه، وبالحبيبِ المتحجِّب لا يُريك وجهَه حتى تَستأذنَ.

وسببُ هذه التسميةِ أنّ ذِكر الطّرفين فقط، يُوهم اتحادَهما، وعدمَ تفاضُلهما، فيعلو المشبه إلى مستوى المشبه به، وهذه هي المبالغةُ في قوّة التشبيهِ.

والتشبيه البليغُ: هو ما حذفت فيه أداة التشبيه، ووجهُ الشبه،[1] نحو:

فاقضُوا مآربَكم عِجالاً، إنّما أعمارُكم سَفَرٌ من الأسفارِ

ونحو:

عَزَماتُهم قضُبٌ وفيضُ أكُفِّهِمْ سُحُبٌ، وبِيضُ وجوههم أقمارُ

المبحث الثامن

في فوائد التشبيه

الغرضُ من التشبيه والفائدةُ منه هي الإيضاحُ والبيانُ في التشبيه غيرِ المقلوب ويرجعُ ذلك الغرضُ إلى المشبّه. وهو إمّا:

١ - بيانُ حاله: وذلك حِينما يكونُ المشبه مُبهماً غيرَ معروفِ الصِّفة التي يُراد إثباتُها له قبل التشبيه، فيفيدُه التشبيه الوصفَ، ويُوضِّحُه المشبهُ به، نحو: شجرُ النارنج كشجر البرتقال، وكقول الشاعر:

إذا قامتْ لحاجَتِها تَثَنّتْ كأنّ عِظامَها مِن خَيزُرانِ

شبّه عظامَها بالخيزران بياناً لما فيها من اللِّين[2].

٢ - أو بيانُ إمكان حاله، وذلك حينَ يُسند إليه أمرٌ مُستغربٌ لا تزول

---

(١) ومن التشبيه البليغ أن يكونَ المشبهُ به مصدراً مبيّناً للنوع، نحو: أقدمَ الجنديُّ إقدامَ الأسد، وراغَ المدينُ رَوَغانَ الثعلب. ومنه أيضاً إضافةُ المشبه به للمشبه، نحو: لبسَ فلانٌ ثوبَ العافية. ومنه أيضاً أن يكون المشبه به حالاً، نحو: حمل القائدُ على أعدائه أسداً.

(٢) والتشبيه لهذا الغرض يكثر في العلوم والفنون لمجرد البيان والإيضاح، فلا يكون فيه حينئذ أثر للبلاغة لخلوه من الخيال وعدم احتياجه إلى التفكير، ولكنه لا يخلو من ميزة الاختصار في البيان وتقريب الحقيقة إلى الأذهان، كقولهم: الأرض كالكرة.

غرابته إلا بذكر شبيهٍ له، معروفٍ واضحٍ مسَلَّم به، ليثبُتَ في ذهنِ السامع ويُقرَّر، كقوله:

وَيلاهُ إنْ نظرتْ وإنْ هيَ أعرضَتْ وقعُ السِّهام ونَزعُهنّ أليمُ

شبّهَ نظرَها بوقعِ السِّهام، وشبّه إعراضَها بنزعها، بياناً لإمكان إيلامِها بهما جميعاً.

٣ - أو بيانُ مقدار حالِ المشبّه في القوّة والضعف، وذلك إذا كان المشبّه معلوماً، معروفَ الصِّفة التي يُرادُ إثباتُها له معرفةً إجماليةً قبل التشبيه، بحيث يُراد من ذلك التشبيهِ بيانُ مقدارِ نصيبِ المشبه من هذه الصفة. وذلك بأن يَعْمد المتكلّم لأن يُبيِّن للسامع ما يَعنيه من هذا المقدار، كقوله:

كأنّ مِشْيتَها من بَيتِ جارتِها مَرُّ السَّحابةِ لا رَيْثٌ[1] ولا عَجَلُ

وكتشبيه الماء بالثَّلج في شدَّة البُرودة، وكقوله:

فيها اثنتانِ وأربعونَ حَلُوبَةً سُوداً كخافيةِ الغُرابِ الأسْحَمِ

شبّه النياقَ السُّودَ بخافية الغُراب، بياناً لمقدارِ سوادِها. فالسوادُ صفةٌ مُشتركة بين الطرفين.

٤ - أو تقريرُ حال المشبه، وتمكينُه في ذهن السامع بإبرازها فيما هيَ فيه أظهرُ[2]، كما إذا كان ما أُسند إلى المشبهِ يحتاجُ إلى التّثبيت والإيضاح. فتأتي بمشبهٍ حسّي قريبِ التصوُّر، يزيدُ معنى المشبه إيضاحاً، لِمَا في المشبه به من قوّةِ الظُّهور والتمام، نحو: هل دَولةُ الحُسْنِ إلا كدولةِ الزَّهَر؟ وهل عُمُرُ الصِّبا إلا أصيلٌ أو سَحَر؟ وكقوله:

إنّ القلوبَ إذا تنافرَ وُدُّها مثلُ الزُّجاجة كَسْرُها لا يُجْبَرُ[3]

شبّه تنافر القلوب بكسرِ الزجاجة، تثبيتاً لتعذُّر عودةِ القلوبِ إلى ما كانت عليه من الأُنس والمودّة.

---

(١) ضد العجَل، البطء.

(٢) ويكثر في تشبيهِ الأمور المعنوية بأخرى تُدرك بالحس، نحو: التعلُّم في الصغر كالنقش في الحجر.

(٣) تنافُرُ القلوب وتوادُّها من الأمور المعنوية. ولكن الشاعرَ نظرَ إلى ما في المشبه به من قوةِ الظهور والتمام. فانتقلَ بالسامع من تنافُرِ القلوب الذي لا ينتهي إذا وقع، إلى كسرِ الزجاجة الذي لا يجبرُ إذا حصل، فصوَّر لك الأمر المعنوي بصورة حسية.

٥ - أو بيانُ إمكانِ وجودِ المشبه، بحيث يَبدو غريباً يُستبعَدُ حُدوثُه، والمشبهُ به يزيلُ غرابتَهُ، ويُبيِّنُ أنه ممكن الحصول، كقوله:

فإن تَفُقِ الأنامَ وأنتَ منهم فإنّ المِسكَ بعضُ دمِ الغَزالِ[1]

٦ - أو مدحُه وتحسينُ حاله، ترغيباً فيه، أو تعظيماً له، بتصويره بصورةٍ تُهيِّج في النفس قُوى الاستحسان، بأنْ يعمدَ المتكلم إلى ذِكر مشبه به مُعجب، قد استقرَّ في النفس حُسْنُه وحُبُّه، فيصوِّر المشبهَ بصُورته، كقوله:

وزادَ بكَ الحُسْنُ البديعُ نَضارةً كأنّك في وجهِ الملاحةِ خالُ

ونحو:

فإنّكَ شمسٌ والملوكُ كواكبٌ إذا طَلَعتْ لم يبدُ منهنّ كوكبُ

وكقوله:

سبقَتْ إليكَ من الحدائقِ وردةٌ وأَتتْكَ قبلَ أوانها تَطْفيلا
طمعتْ بِلَثْمِك إذْ رأتْكَ فجمّعَتْ فمَها إليكَ كطالبٍ تَقْبيلا

وكقوله:

له خالٌ على صفَحاتِ خَدٍّ كنُقْطَةِ عنبرٍ في صحنِ مَرْمَرْ
وألحاظٌ كأسيافٍ تُنادي على عاصي الهوى: اللهُ أكبرْ

٧ - أو تشويهُ المشبّه وتقبيحُه، تنفيراً منه أو تحقيراً له، بأن تُصوِّرَه بصورةٍ تمجُّها النفس، ويشمئز منها الطبع. كقوله:

وإذا أشارَ مُحدِّثاً، فكأنّهُ قِرْدٌ يُقهقهُ أو عجوزٌ تَلْطِمُ

وكقوله:

وتَرى أناملَها على مِزمارها كخنافسٍ دبّتْ على أوتارِ

٨ - أو استطرافُه، أي: عدُّه طَريفاً حديثاً، بحيث يجيء المشبه به

---

(١) أي إنه لا استغرابَ في فَوْقانِكَ للأنام مع أنك واحد منهم، لأن لك نظيراً وهو المسك فإنه بعضُ دم الغزال. وقد فاقَ على سائر الدماء، ففيه تشبيهُ حال الممدوح بحالِ المسك تشبيهاً ضمنياً. والتشبيه الضمني هو تشبيه لا يوضَعُ فيه المشبهُ والمشبه به في صورةٍ من صور التشبيه المعروفة، بل يُلمحان في التركيبِ لإفادة أن الحكمَ الذي أسند إلى المشبه ممكنٌ، نحو: «المؤمن مرآة المؤمن».

طريفاً، غيرَ مألوفٍ للذهن. إمّا لإبرازه في صورة الممتنع عادةً، كما في تشبيه فَحمٍ فيه جَمْرٌ متّقد ببحرٍ من المسك مَوْجُه الذهب. وكقوله:

وكأنّ مُحْمَرَّ الشَّقيـ ـقِ إذا تَصَوّب أو تَصَعَّدْ
أعلامُ ياقوتٍ نُشِرْ نَ على رِماحٍ من زَبَرْجَدْ

وإمّا لنُدورِ حضُورِ المشبه به في الذّهن عندَ حضورِ المشبه، كقوله:

وانظُرْ إليهِ كزورقٍ من فِضّة قد أثقلَتْهُ حُمولةٌ مِن عنبرِ[1]

تشبيه على غيرِ طرقهِ الأصلية

التشبيه الضمني

هو تشبيهٌ لا يُوضَعُ فيه المشبهُ والمشبه به في صُورةٍ من صُور التشبيه المعروفة، بل يُلمحُ المشبه والمشبه به، ويُفهمان من المعنى. ويكون المشبَّهُ به دائماً برهاناً على إمكانِ ما أُسنِدَ إلى المشبّه، كقول المتنبي:

مَن يَهُنْ يَسْهُلِ الهوانُ عليه ما لِجُرحٍ بميِّتٍ إيلامُ

أي إنّ الذي اعتاد الهوانَ، يسهُلُ عليه تحمُّلُه، ولا يتألّمُ له، وليس هذا الادّعاء باطلاً، لأنّ الميتَ إذا جُرح لا يتألّم. وفي ذلك تلميحٌ بالتشبيه في غير صراحة، وليس على صورةٍ من صور التشبيه المعروفة، بل إنه تَشابُهٌ يقتضي التّساوي. وأمّا التشبيهُ فيقتضي التفاوت.

التشبيه المقلوب

قد يُعكسُ التشبيهُ، فيُجعلُ المشبهُ مُشبهاً به، وبالعكس[2]. فتعودُ فائدتُه

---

(١) الحمولة: ما يحملُ فيه ويوضَعُ. والمقصدُ من التشبيه وجودُ شيء أسودَ داخل أبيضَ. واعلمْ أن التشبيه يعودُ فيه الغرض إلى المشبه بكونِ وجهِ شبهه أتمَّ وأعرفَ في المشبه به، منه في المشبه، كما في السكاكي. وعليه جرى أبو العلاء المعري في قوله:

ظلمناك في تشبيه صُدغيك بالمسك

وقاعدة التشبيه نقصانُ ما يحكي. وشرّاح «التلخيص» اشترطوا الأَعْرفيةَ ولم يشترطوا الأَتمّية. وفي «المطوّل» و«الأطول» ما يلفت النظر. فارجع إليهما.

(٢) التشبيه المقلوب: ويسمى المنعكس، هو ما رجعَ فيه وجهُ الشبه إلى المشبه به، وذلك حين يرادُ تشبيهُ الزائد بالناقص، ويلحق الأصل بالفرع للمبالغة، وهذا النوع جارٍ على =

إلى المشبه به، لادّعاءِ أن المشبّهَ أتمُّ وأظهرُ من المشبه به في وجه الشبه، ويسمى ذلك بالتشبيه المقلوب[١] أو المعكوس، نحو: كأنّ ضوءَ النهار جبينُه، ونحو: كأنّ نَشرَ الروضِ حُسنُ سيرته، ونحو: كأنّ الماءَ في الصفاء طباعُه، وكقول محمد بن وُهَيب الحِمْيَريّ[٢]:

وبَدا الصَّباحُ كأنّ غُرَّتَهُ وَجهُ الخليفةِ حين يُمتدَحُ

شبَّه غُرَّةَ الصباح بوجه الخليفة، إيهاماً أنه أتمُّ منها في وجه الشبه.

وكقول البُحتري في وصفِ بِرْكة المتوكّل:

كأنّها حينَ لَجَّتْ في تَدفُّقِها يَدُ الخليفةِ لَمّا سالَ واديها[٣]

وهذا التشبيه مظهرٌ من مظاهر الافتِنان والإبداع، كقوله تعالى حكايةً عن الكفار: ﴿إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾[٤] في مقام أنّ الرِّبا مثلُ البيع، عكسوا ذلك لإيهامِ أنّ الرّبا عندهم أحلُّ من البيع، لأن الغرضَ الربحُ وهو أثبتُ وجوداً في الرِبا منه في البيع، فيكون أحقَّ بالحِلّ عندهم.

= خلاف العادة في التشبيه، وواردٌ على سبيل الندور. وإنما يحسُنُ في عكس المعنى المتعارف كقول البحتري:

في طلعةِ البدرِ شيءٌ من محاسنها وللقضيبِ نصيبٌ من تَثَنّيها

والمتعارفُ تشبيهُ الوجوه الحسنة بالبدور، والقاماتِ بالقضيبِ في الاستقامة والتثني، لكنه عكس ذلك مبالغةً. هذا إذا أُريد إلحاق كاملٍ بناقص في وجه الشبه. فإنْ تساويا حسُنَ العدولُ عن التشبيه إلى الحُكم بالتشابه تباعُداً واحترازاً من ترجيحِ أحدِ المتساويين على الآخر، كقول أبي إسحاقَ الصابئ:

تشابهَ دمعي إذ جرى ومُدامتي فمِن مثلِ ما في الكأسِ عَينيَ تسكبُ

فواللهِ ما أدري أبالخمرِ أسبلتْ جُفوني أم من عبرتي كنتُ أشربُ؟

وكقول الصاحب بن عباد:

رقّ الزجاجُ وراقَتِ الخمرُ فتشابها وتشاكَل الأمرُ

فكأنما خمرٌ ولا قدَحٌ وكأنما قدحٌ ولا خمرُ

(١) يقرب من هذا النوع ما ذكره الحلبيُّ في كتاب «حسن التوسل» وسماه «تشبيه التفضيل»، وهو أن يُشبَّه شيء بشيء لفظاً أو تقديراً، ثم يُعدل عن التشبيه لادّعاء أن المشبه أفضلُ من المشبه به، كقوله:

حسبتُ جمالَها بدراً منيراً وأينَ البدرُ من ذاكَ الجمالِ؟

(٢) فالحميريُّ أراد أن يُوهم أن وجه الخليفة أتمُّ من غرةِ الصباح إشراقاً ونوراً.

(٣) فالبحتري أراد أن يُوهم أن يد الخليفة أقوى تدفُّقاً بالعطاء من البركة بالماء.

(٤) سورة البقرة، الآية ٢٧٥.

المبحث التاسع

في تقسيم التشبيه باعتبارِ الغرض إلى مقبولٍ وإلى مردود

ينقسمُ التشبيهُ باعتبارِ الغَرض إلى حسَن مقبول، وإلى قبيحٍ مَردود:

١ - فالحسَنُ المقبول: هو ما وفَى بالأغراض السّابقة، كأنْ يكون المشبهُ به أعرفَ من المشبه في وجه الشبه، إذا كان الغرضُ بيانَ حال المشبه، أو بيانَ المقدار. أو أن يكونَ أتَمَّ شيء في وجه الشبه، إذا قُصِدَ إلحاقُ الناقص بالكامل، أو أن يكون أتمَّ شيء في وجه الشبه، إذا قُصِدَ إلحاقُ الناقص بالكامل، أو أن يكون في بيانِ الإمكان مُسلَّم الحكم، ومعروفاً عند المخاطب، إذا كان الغرضُ بيانَ إمكان الوجود. وهذا هو الأكثر في التشبيهات، إذ هي جاريةٌ على الرشاقة، ساريةٌ على الدقة والمبالغة. ثمّ إذا تَساوى الطرفان في وجه التشبيه عندَ بيانِ المقدار كان التشبيه كاملاً في القبول، وإلا فكلما كان المشبهُ به أقربَ في المقدار إلى المشبه كان الشبه أقربَ إلى الكمال والقبول.

٢ - والقبيح المردود: هو ما لم يَفِ بالغرض المطلوبِ منه، لعدمِ وُجودِ وجهٍ بينَ المشبه والمشبه به، أو مع وجودِه لكنه بعيد.

تنبيهات

الأول: بعضُ أساليب التشبيه أقوى من بعضٍ في المبالغة، ووُضوحِ الدلالة. ولها مراتب ثلاثة:

أ - أعلاها وأبلغُها: ما حُذف فيها الوجهُ والأداة، نحو: عليٌّ أسد، وذلك أنك ادعيتَ الاتحاد بينهما بحذفِ الأداة، وادعيتَ التشابُه بينهما في كلِّ شيءٍ بحذف الوجه. ولذا سُمِّي هذا تشبيهاً بليغاً.

ب - المتوسطة: ما تحذفُ فيها الأداة وحدها، كما تقول: عليٌّ أسدٌ شجاعةً. أو يُحذف فيها وجهُ الشبه، فتقول: علي كالأسد. وبيانُ ذلك أنك بذكرك الوجهَ حصرتَ التشابه، فلم تدعْ للخيال مجالاً في الظن، بأن التشابه

في كثيرٍ من الصفات، كما أنك بذكرِ الأداة نصصتَ على وجودِ التفاوت بينَ المشبه والمشبه به، ولم تترك باباً للمبالغة.

ج - أقلها: ما ذُكر فيها الوجهُ والأداة، وحينئذٍ فقدتَ المزيّتين السابقتين.

الثاني: قد يكونُ الغرضُ من التشبيه حسناً جميلاً، وذلك هو النمطُ الذي تَسمو إليه نفوسُ البلغاء، وقد أتَوا فيه بكلِّ حسنٍ بديع. كقول ابن نُباتةَ في وصف فرسٍ أغرَّ مُحَجَّل:

وكأنما لطَمَ الصباحُ جَبينَهُ فاقتصَّ منه فخاضَ في أحشائهِ

وقد لا يوفَّقُ المتكلمُ إلى وجه الشبه، أو يصلُ إليه مع بُعد. وما أخلقَ مثل هذا النوع بالاستكراه وأحقَّه بالذم! لما فيه من القبح والشناعة، بحيث ينفرُ منه الطبع السليمُ.

الثالث: عُلم مما سَبق أن أقسامَ التشبيه من حيثُ الوجهُ والأداةُ كالآتي:

١ - التشبيه المرسَل: هو ما ذُكرتْ فيه الأداة.

٢ - التشبيه المؤكَّد: هو ما حُذفتْ منه الأداة.

٣ - التشبيه المجمل: هو ما حذفَ منه وجه الشبه.

٤ - التشبيه المفصل: هو ما ذُكر فيه وجه الشبه.

٥ - التشبيهُ البليغ: هو ما حُذفتْ منه الأداةُ ووجهُ الشبه[١]. وهو أرقى أنواع التشبيه بلاغةً. وقد تقدمَ الكلامُ عليه مُستوفًى.

٦ - التشبيه الضمني: هو تشبيهٌ لا يوضَعُ فيه المشبهُ والمشبهُ به في صورةٍ من صور التشبيه المعروفة، بل يُلمحُ المشبهُ والمشبهُ به، ويُفهمان من المعنى، نحو:

علا فما يستقِرُّ المالُ في يدهِ وكيفَ تُمسكُ ماءَ قُنَّةُ[٢] الجبلِ؟

فالمشبهُ الممدوح، وهو ضميرُ (علا) والمشبهُ به (قنة الجبل)، ووجه الشبه عدم الاستقرار، والأداةُ محذوفة أيضاً.

---

(١) المراد بالبليغ هنا ما بلغَ درجةَ القَبول لحسنه، أو المراد به اللطيف الحسن.

(٢) القُنة: الذروة، القمة.

وهذا النوع يؤتى به ليفيدَ أنّ الحكم الذي أُسند إلى المشبه ممكن[١].

أسئلة تُطلب أجوبتها

ما هو علم البيان لغة واصطلاحاً؟ ما هو التشبيه؟ ما أركانُ التشبيه؟ طرفا التشبيه حِسّيان أم عقليان؟ ما المرادُ بالحسيّ؟ ما هو التشبيه الخيالي؟ ما المراد بالعقلي؟ ما التشبيه الوهمي؟ ما هو وجه الشبه؟ ما هي أداوت التشبيه؟ هل الأصلُ في أدوات التشبيه أن يليها المشبهُ، أو المشبهُ به؟ متى تفيدُ كأنّ التشبيه؟ ما هو التشبيه البليغ؟ ما هو التشبيه الضِّمني؟ ما هو التشبيهُ المرسل؟ كم قسماً للتشبيه باعتبار طرفيه؟ كم قسماً للتشبيه باعتبارِ تعدُّدِ طرفيه؟ ما هو التشبيه الملفوف؟ ما هو التشبيه المفروق؟ ما هو تشبيه التسوية؟ ما هو تشبيه الجمع؟ كم قسماً للتشبيه باعتبارِ وجهِ الشبه؟ ما هو تشبيه التمثيل؟ ما هو تشبيه غير التمثيل؟ ما هو التشبيه المفصل؟ ما هو التشبيه المجمل؟ كم قسماً للتشبيه باعتبار الغرض منه؟

تطبيق عام على أنواع التشبيه

- اشتريتُ ثوباً أحمرَ كالورد - في هذه الجملة تشبيهٌ مرسلٌ مفصلٌ، المشبه ثوباً، والمشبه به هو الورد. وهما حسيان مفردان. والأداة الكاف. ووجه الشبه الحمرة في كلٍّ، والغرض منه بيان حال المشبه.

- ما الدهرُ إلا الربيعُ المستنيرُ إذا ... أتى الربيعُ أتاكَ النُّورُ والنَّوْرُ
فالأرضُ ياقوتةٌ والجوُّ لؤلؤةٌ ... والنبتُ فَيرُوزجٌ[٢] والماءُ بِلَّوْرُ

---

(١) كقوله:

لا تُنكري عَطَلَ الكريم من الغنى ... فالسيلُ حربٌ للمكانِ العالي

أي: لا تنكري خلوَّ الرجل الكريم من الغنى فإن ذلك ليس عجباً، لأن قممَ الجبال - وهي أعلى الأماكن - لا يستقرُّ فيها ماءُ السيل. فهاهنا يلمحُ الذكيُّ تشبيهاً، ولكنه لم يضع ذلك صريحاً، بل أتى بجملة مستقلة، وضمّنها هذا المعنى في صورةِ برهان. فيكون هذا التشبيه على غير طرقِه الأصلية، بحيث يوردُ التشبيه ضمناً من غيرِ أن يصرَّح به، ويجعل في صورة برهان على الحكم الذي أسند إلى المشبه، كما سبق شرحه.

وقد يرادُ إيهامُ أن المشبه والمشبه به متساويان في وجهِ الشبه، فيُتركُ التشبيهُ ادعاءَ بالتساوي دون الترجيح.

(٢) نوع من الأحجار الكريمة، أزرق، سماوي.

«الأرض ياقوتة» تشبيه بليغٌ مجمل، المشبهُ الأرضُ، والمشبه به ياقوتة. وهما حسيان مفردان. ووجه الشبه محذوف، وهو الخضرة في كلٍّ. والأداة محذوفة. والغرضُ منه تحسينُه. والجوّ لؤلؤة، والنبتُ فيروزج، والماء بلور، كذلك. وفي البيت كلّه تشبيه مفروق، لأنه أتى بمشبهٍ ومشبهٍ به، وآخر وآخر.

- العمرُ والإنسانُ والدُّنيا هُمو كالظلِّ في الإقبال والإدبارِ

فيه تشبيهُ تسوية مرسل مفصل. المشبه العمر والإنسان والدنيا، والمشبه به الظل. والمشبهُ بعضُه حسيّ، وبعضُه عقلي، والمشبه به حسي. والكافُ الأداة. ووجه الشبه الإقبال والإدبار. والغرضُ تقريرُ حالِه في نفس السامع.

- كم نعمةٍ مَرّتْ بنا وكأنها فرسٌ يهرولُ أو نسيمٌ ساري

في البيت: تشبيهُ جمعٍ مرسل مجمل، المشبه نعمة، والمشبه به فرسٌ يهرول، أو نسيم ساري. وهما حسيان. وكأنّ الأداة، ووجه الشبه السرعة في كلٍّ. والغرض منه بيانُ مقدارِ حاله.

- ليلٌ وبدرٌ وغصنٌ شَعْرٌ ووجه وقَدُّ

فيه تشبيهٌ بليغ مجمل ملفوف. المشبهُ شعر وهو حسي، والمشبه به ليل، وهو عقلي، والأداة محذوفة، ووجهُ الشبه السوادُ في كلٍّ، والغرضُ منه بيان مقدار حاله.

وفي الثاني المشبه وجه، والمشبه به بدر، وهما حسيان. ووجهُ الشبه الحُسنُ في كلٍّ، والأداة محذوفة، والغرض تحسينه.

وفي الثالث المشبه قدّ، والمشبه به غصنٌ، وهما حسيان. ووجهُ الشبه الاعتدال في كلٍّ. والأداة محذوفة، والغرض بيانُ مقداره.

هذا، وإن شئت فقل: هذا تشبيهٌ مقلوب تجعل المشبه به مشبَّهاً، والمشبهَ مشبهاً به لغرض المبالغة، بأن تجعلَ الليلَ مشبهاً، والشعرَ مشبهاً به.

- وقد لاحَ في الصبحِ الثريّا كما تَرى كعنقودِ مُلاحِيَّةٍ حينَ نوَّرا

فيه تشبيهٌ مرسل مجمل، المشبهُ هيئة الثريا الحاصلة من اجتماع أجرام مشرقةٍ مستديرة منيرة، والمشبه به هيئةُ عنقودِ العنب المنور، والجامعُ الهيئةُ

الحاصلة من اجتماع أجرامٍ منيرة مستديرة في كلٍّ، والأداة الكاف، والغرضُ منه بيانُ حاله.

تمرين

بيّن أنواع التشبيه فيما يأتي:

- الوردُ في أعلى الغصونِ كأنه ... مَلِكٌ تَخُفُّ بهِ سَراةُ جنودِهِ
- إذا ارتجلَ الخطابَ بدا خليجٌ ... بفيهِ يمدُّه بحرُ الكلام
  كلامٌ بل مدامٌ بل نظامٌ ... من الياقوتِ بل حَبُّ الغمامِ[1]
- يا صاحبيَّ تيقَّظا من رقدةٍ ... تُزري على عقل اللبيبِ الأكيسِ
  هذي المجرَّةُ والنجومُ كأنّها ... نهرٌ تدفَّقُ في حديقة نرجسِ
- وكأنّ الصبحَ لَمّا ... لاحَ من تحتِ الثريّا
  ملكٌ أقبلَ في التّا ... جِ يُفَدَّى ويُحَيّا
- إنما النفسُ كالزُجاجةِ، والعلـ ... ـمُ سراجٌ، وحكمة الله زَيْتُ
  فإذا أشرقتْ فإنّك حيٌّ ... وإذا أظلمتْ فإنّكَ مَيْتُ
- وغيرُ تقيٍّ يأمرُ الناسَ بالتُّقى ... طبيبٌ يُداوي الناس وهو مريضُ
- إذا امتحنَ الدّنيا لبيبٌ تكشّفتْ ... له عن عدوٍّ في ثيابِ صديقِ
- جمرةُ الخَدِّ أحرقَتْ عنبرَ الخا ... لِ فمن ذلك العِذارِ دُخانُ
- كالبدرِ من حيثُ التفتَّ رأيتَهُ ... يُهدي إلى عينيكَ نُوراً كافيا
- وأشرقَ عن بِشرٍ هو النُّور في الضُّحى ... وصافى بأخلاقٍ هي الظّلُّ في الصُّبحِ

تمرين آخر

لبيانِ أنواع التشبيه: البليغ، والضمني، والتمثيل، والمقلوب، والمؤكّد، والمفصّل، والمجمل:

- خلَط الشّجاعةَ بالحياءِ فأصبَحا ... كالحُسنِ شِيبَ لمُغرَمٍ بدَلال
- شقائقُ يحملنَ النّدى فكأنه ... دُموعُ التّصابي في خُدودِ الخرائدِ

(١) حب الغمام: البرَد.

- عَذُبَ الفراقُ لنا قُبيلَ وَداعِنا ... ثمّ اجْتَرَعْناهُ[١] كُمٌّ ناقِع
فكأنّما أثرُ الدُّموعِ بخدّها ... طَلٌّ تناثَرَ فوقَ وردٍ يانعِ[٢]
- وترى الغصونَ تميلُ في أوراقِها ... مثلَ الوصائفِ في صُنوفِ حريرِ
- وحديقةٍ يَنسابُ فيها جدولٌ ... طَرْفي بِرَوْنَقِ حُسنِهِ مدهوشُ
يبدو خيالُ غُصونِها في مائهِ ... فكأنما هو مِعْصَمٌ منقوشُ
- انظُرْ إلى حُسْنِ تكوينِ السماءِ وقدْ ... لاحتْ كواكبُها والليلُ ديجُورُ[٣]
كأنّها خيمةٌ ليستْ على عَمَدٍ ... زرقاءُ قد رُصِّعَتْ فيها الدّنانيرُ
- وقد سَفَرَ الدُّجى عن ضوءِ فجرٍ ... منيرٍ مِثْلَما سَفَرَ الِعقابُ
فخِلتُ الصبحَ في إثْرِ الثريّا ... بشيراً جاء في يدِه كتابُ
- ولقد ذكرتُكِ والنجومُ كأنّها ... دُرَرٌ على أرضٍ من الفَيْروزَجِ
يَلْمعنَ من خَلَلِ السّحابِ كأنّها ... شَرَرٌ تطايَرَ من دُخانِ العَرْفجِ[٤]
- ونارنْجةٍ بينَ الرياضِ نظرتُها ... على غُصُنٍ رطْبٍ كقامةِ أغيَدِ[٥]
إذا ميَّلتْها الريحُ مالَتْ كأُكْرةٍ[٦] ... بَدَتْ ذهباً من صَولجانِ زُمرُّدِ
- وحديقةٍ غناءَ ينتظمُ النّدى ... بفروعِها كالدُّرِّ في الأسلاكِ
والبدرُ يشرقُ من خِلالِ غُصونها ... مثلَ المليحِ يُطِلُّ من شُبّاكِ
- لو كنتَ تَشهدُ يا هذا عَشِيَّتَنا ... والمُزْنُ يُسْكَبُ أحياناً وينحدرُ
والأرض مُصْفَرّةٌ بالمزنِ كاسيةٌ ... أبصرتَ تِبراً عليه الدرُّ ينتثرُ
- وللأقاحي قصورٌ كلُّها ذهبٌ ... مِن حولها شُرُفاتٌ كلُّها دُرَرُ
- كأنّما النارُ في تلهُّبِها ... والفحمُ من فوقها يُغطّيها
زنجيّةٌ شَبّكت أناملَها ... من فوقِ نارِنْجَةٍ لِتُخفيها

---

(١) شربه دفعة واحدة .
(٢) الطلّ: الندى .
(٣) الظلام .
(٤) نبات ينبت في السهول .
(٥) اللين .
(٦) الكرة .

- والوردُ في شطِّ الخليجِ كأنّه ... رَمَدٌ ألَمَّ بمُقلةٍ زرقاءِ
- هذي المجرّةُ والنجومُ كأنّها ... نهرٌ تدفّقَ في حديقة نرْجسِ
- انظُرْ إلى حُسْنِ هِلالٍ بدا ... يَهتِكُ من أنواره الحِنْدِسا[1]
كمِنجَلٍ قد صِيغَ من عسجدٍ[2] ... يحصُدُ من زَهر الدُّجى نَرْجسا
- والبدرُ يُسْتَرُ بالغيوم ويَنْجَلي ... كتنفُّس الحسناءِ في مِرآتِها
- كأنّما الأغصانُ لما انثَنَتْ ... أمامَ بَدْرِ التَّمِّ في غَيْهَبِهْ[3]
بنتُ مليكٍ خلفَ شُبّاكِها ... تفرّجَتْ منه على موكِبِهْ
- كأنّ شُعاعَ الشمسِ في كلِّ غُدْوةٍ ... على وَرَقِ الأشجارِ أولَ طالعِ
دنانيرُ في كفِّ الأشَلِّ يَضُمُّها ... لقبضٍ فتهوي من فُروج الأصابعِ
- لئن بسَطَ الزمانُ يَدَيْ لئيمٍ ... فصبراً للذي فعَلَ الزّمانُ
فقد تعلو على الرّأسِ الذُّنابَى ... كما يَعلو على النارِ الدُّخانُ
- دهرٌ عَلا قدْرُ الوضيعِ به ... وغدا الشّريفُ يَحُطُّهُ شرَفُهْ
كالبحرِ يَرسُبُ فيهِ لؤلؤهُ ... سُفلاً وتَطفو فوقَه جِيَفُهْ
- لو أورقَتْ من دَمِ الأبطالِ سُمْرُ قَناً ... لأَوْرَقَتْ عِنْدَه سُمْرُ القَنا الذُّبُلِ[4]
إذا توجّه في أُولَى كتائبِهِ ... لم تَفْرِقِ العينُ بين السّهلِ والجبَلِ
فالجيشُ ينفُضُ حولَيْهِ أسِنّتَهُ ... نفْضَ العُقابِ جناحيهِ من البلَلِ
- لو كنتَ شاهدَنا عشيّةَ أُنسِها ... والمُزْنُ يَبكينا بعَيْنَيْ مُذْنبِ
والشمسُ قد مدّتْ أديمَ شُعاعها ... في الأرض تجنحُ غيرَ أنْ لم تَذْهبِ
خِلْتَ الرَّذاذَ بُرادةً من فضةٍ ... قد غُرْبِلَتْ من فوق نِطعٍ مُذْهَبِ[5]
- لله دولابٌ[6] يفيضُ بسَلْسَلٍ ... في رَوْضةٍ قد أينَعَتْ أفنانا

---

(١) الحندس: الظلام .
(٢) الذهب .
(٣) الغيهب: شدة سواد الليل .
(٤) الذبل: ذات الرؤوس الدقيقة .
(٥) النطع: بساط من جلد .
(٦) الدولاب: عجلة لرفع الماء من النهر أو البئر .

قد طارحَتْهُ بها الحمائمُ شجْوَها فيُجيبُها ويرجِّعُ الألحانا
فكأنّه دَنِفٌ[١] يدورُ بمعْهدٍ[٢] يبكي ويسألُ فيه عمّن بانا[٣]
ضاقَتْ مَجاري طَرْفهِ عن دمعهِ فتَفتَّحتْ أضلاعُهُ أجْفانا
- أخرسُ يُنبيكَ بإطراقهِ عن كلِّ ما شئتَ من الأمْرِ
يُذْري على قرطاسهِ دمعَهُ يُبدي لنا السرَّ وما يَذْرِي
كعاشقٍ أخفى هواهُ وقد نَمَّتْ عليه عَبْرةٌ تجري
- الشمسُ منْ مَشْرِقِها قد بَدَتْ مُشرقةً ليسَ لها حاجبُ
كأنها بودقةٌ أُخمِيَتْ يجولُ فيها ذهبٌ ذائبُ

- قال الله تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ﴾[٤].

- إذا ما تردّى لأَمْةَ الحربِ أُرْعِدَتْ حشا الأرضِ واستدمى الرماحُ الشوارعُ
وأسفرَ تحتَ النَّقع[٥] حتى كأنّهُ صباحٌ مشى في ظلمة الليل ساطعُ
- وكأنّ أجرامَ السماءِ لوامعاً دُرَرٌ نُثِرْنَ على بساطٍ أزرقِ

- قال الله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾[٦].

- وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾[٧].

- وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ

(١) الدَّنِف: من برّح به العشق.
(٢) المعهد: المنزل الذي إذا نأى عنه القوم رجعوا إليه.
(٣) بان: فارق.
(٤) سورة الكهف، الآية ٤٥ .
(٥) الغبار الذي يظهر في المعارك.
(٦) سورة إبراهيم، الآية ١٨ .
(٧) سورة النور، الآية ٣٩ .

أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَـٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَـٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ﴾[١].

- حمرُ السيوفِ كأنما ضَرَبتْ لهم ... أيدي القيونِ[٢] صفائحاً من عسجدِ
في فتيةٍ طلبوا غُبارَك، إنه ... رَهجٌ[٣] ترفّعَ عن طريق السُّؤدُدِ
كالرُّمْحِ فيه بِضْعَ عشرةَ فقرةً ... مُنقادةً خلْفَ السِّنانِ الأصْيَدِ
- خبِّريني ماذا كَرِهتِ من الشَّيْـ ... ـبِ فلا عِلمَ لي بذنْبِ المشيبِ
أضياءَ النّهارِ أم وضحَ اللُّؤ ... لؤ أم كونَه كثغرِ الحبيبِ
واذكري لي فضلَ الشبابِ وما يَجْ ... مَعُ من منْظَرٍ يَروقُ وطيبِ
غَدْرُه بالخليلِ أم حبُّه للـ ... ـغيِّ أم أنه كدهرِ الأديبِ؟
- والبدرُ أوّلُ ما بَدا مُتبسِّماً ... يُبْدي الضِّياءَ لنا بخَدٍّ مُنْفرِ
فكأنما هو خُوذةٌ من فِضةٍ ... قد رُكِّبتْ في هامةٍ من عَنْبرِ
- خِلْتُها في المُعَصْفراتِ القواني ... وردةً في شقائقِ النُّعمانِ
- شبَّهتُ بدرَ سمائنا لَمّا دَنَتْ ... منهُ الثريّا في قميصِ سُنْدُسِ
مَلكاً مَهيباً قاعداً في رَوضةٍ ... حيّاهُ بعضُ الزائرينَ بنرجسِ
- وإنّي على إشفاقِ عيني من البُكا ... لتجمحُ منّي نظرةٌ ثمّ أُطرِقُ
كما حُلِّئتْ[٤] عن ماءِ بئرٍ طريدةٌ ... تمدُّ إليها جِيدَها وهي تَفْرَقُ[٥]
- أنا كالوردِ فيه راحةُ قومٍ ... ثمّ فيه لآخرينَ زُكامُ
- يا حبذا يومُنا ونحن على ... رؤوسِنا نعقدُ الأكاليلا
في جنةٍ ذُلِّلَتْ لقاطفِها ... قطوفُها الدانياتُ تَذْليلا
كأنّ أُتْرُجَّها تميلُ بها ... أغصانُها حاملاً ومحمولا

---

(١) سورة يونس، الآية ٢٤ .
(٢) مفردها قين: الحدّاد .
(٣) الغبار المثار .
(٤) ضُربت .
(٥) مِنَ الفَرَق وهو الخوف والفزع .

سلاسلٌ من زبرجَدٍ حَمَلتْ ... من ذهبٍ أصفرٍ قناديلا

- كم والدٍ يَحْرِمُ أولادَهُ ... وخَيرهُ يحظى به الأبعدُ

كالعينِ لا تَنظرُ ما حولَها ... ولَحظُها يُدْرِكُ ما يَبعُدُ

- رِيمٌ يتيهُ بحُسنِ صورته ... عَبثَ الفُتورُ بلحظِ مُقْلَتهِ

فكأنّ عقربَ صُدغهِ وقفَتْ ... لَمّا دنَتْ مِنْ نارِ وَجْنتِهِ

- وشادنٍ أهيفٍ حَيّا بنرجسةٍ ... كأنّها إذْ بدتْ في غاية العجبِ

كفٌّ من الفضةِ البيضاءِ ساعِدُها ... زَبَرجدٌ حمِّلتْ كأساً من الذهبِ

- نَثرَ الجوُّ على الأرضِ بَرَدْ ... أيُّ دُرٍّ لنحورٍ لو جَمَدْ؟

لؤلؤ أصدافُه السُّحبُ التي ... أنجزَ البارقُ منها ما وَعَدْ

- أبصرتُ طاقةَ نرجسٍ ... في كفٍّ من أهواهُ غَضَّه

فكأنّها برْجُ الزَّبَرْ ... جَدِ أنبتَتْ ذهباً وفضّه

- كأنّ الأفقَ محفوفٌ بنارٍ ... وتحتَ النارِ آسادٌ تَزيرُ[1]

- وما الناسُ إلا كالديارِ وأهلُها ... بها يومَ حَلُّوها وغَدْواً بَلاقعُ[2]

بلاغة التشبيه[3]

وبعضُ ما أُثِرَ منه عن العرب والمُحدَثين

تنشأُ بلاغةُ التشبيه من أنه ينتقلُ بكَ من الشّيءِ نفسِه، إلى شيءٍ طريفٍ يُشبهُه، أو صورةٍ بارعة تُمثّله.

وكلما كان هذا الانتقالُ بعيداً، قليلَ الخُطورِ بالبال، أو ممتزجاً بقليلٍ أو كثيرٍ من الخيال، كان التشبيه أروعَ للنفس، أَدْعى إلى إعجابها واهتزازها.

---

(١) تزأرُ .

(٢) الأراضي القاحلة القفر .

(٣) التشبيهُ مع ما فيه من ميزةِ الإيجاز في اللفظ يفيدُ المبالغةَ في الوصف . ويُخرجُ الخفيَّ إلى الجليّ، والمعقولَ إلى المحسوس . ويجعلُ التافهَ نفيساً، والنفيسَ تافهاً، ويُدني البعيدَ من القريب، ويزيدُ المعنى وضوحاً، ويكسِبهُ تأكيداً، فيكونُ أوقعَ في النفس وأثبتَ . وله روعةُ الجمال والجلال .

فإذا قلتَ: فلانٌ يشبه فلاناً في الطُّول، أو أنّ الأرضَ تشبه الكُرةَ في الشكل، لم يكنْ في هذه التشبيهاتِ أثرٌ للبلاغة، لظهورِ المشابهةِ، وعدم احتياجِ العثورِ عليها إلى براعةٍ وجُهْدٍ أدبيّ، ولخُلوِّها من الخيال.

وهذا الضربُ من التشبيه يُقصَدُ به البيانُ والإيضاح، وتقريبُ الشيءِ إلى الأفهام. وأكثرُ ما يُستعمل في العلوم والفنون.

ولكنك تأخذُك رَوعةُ التشبيه، حينما تسمعُ قولَ المعرّي يَصفُ نجماً:

يُسْرِعُ اللَّمْحَ في احْمِرارٍ كما تُسـ ـرِعُ في اللمحِ مُقلةُ الغَضْبانِ

فإنّ تشبيه لمحاتِ النجم وتألُّقه معَ احمرارِ ضوئه، بسرعةِ لمحةِ الغضبان من التشبيهات النادرة، التي لا تنقادُ إلا لأديبٍ، ومن ذلك قول الشاعر:

وكأنّ النُّجومَ بَيْنَ دُجاها سُنَنٌ لاحَ بينهنّ ابْتداعُ

فإنّ جمال هذا التشبيه جاء من شعورك ببراعةِ الشاعر وحِذْقه، في عَقدِ المشابهة بين حالتين، ما كان يخطرُ بالبالِ تشابُههما، وهما حالةُ النجوم في رُقْعَةِ الليل، بحالِ السُّنَن الدِّينية الصحيحة، متفرقةً بين البدَع الباطلة. ولهذا التشبيه روعةٌ أخرى جاءت من أنّ الشاعر تخيلَ أن السُّننَ مضيئة لَمّاعة، وأنّ البِدع مُظلمة قاتمة.

ومن أبدع التشبيهات قول المتنبي:

بَلِيتُ بِلَى الأطلالِ إنْ لم أقفْ بها وُقوفَ شَحيحٍ[1] ضاعَ في التُّربِ خاتَمُهْ

يدعو الشاعر على نفسه بالبِلى والفناء، إذا هو لم يقفْ بالأطلال، ليذكُرَ عهدَ مَن كانوا بها. ثم أراد أن يصوِّر لك هيئةَ وقوفه، فقال: كما يقفُ شَحيحٌ فقَدَ خاتمَه في التراب. مَن كان يوفِّقُ إلى تصوير حالِ الذّاهلِ المتحير المحزون، المُطرِقِ برأسه، المنتقل من مكانٍ إلى مكانٍ في اضطرابٍ ودهشة، بحالِ شحيحٍ فقَدَ في التراب خاتماً ثميناً؟

هذه بلاغةُ التشبيه من حيث مَبْلَغُ طرافتِهِ، وبُعْدُ مَرماه، ومقدارُ ما فيه من خيال. أما بلاغتُه من حيث الصورةُ الكلامية التي يُوضع فيها، فمتفاوتة أيضاً.

(١) الشحيح: البخيل.

فأقلُّ التشبيهات مرتبةً في البلاغة ما ذُكرتْ أركانُه جميعُها، لأنّ بلاغةَ التشبيه مَبنيةٌ على ادّعاء أنّ المشبهَ عينُ المشبه به. ووجودُ الأداة، ووجهُ الشبه معاً يَحُولانِ دُون هذا الادعاء. فإذا حُذِفَتْ الأداة وحدَها، أو وجهُ الشبه وحده، ارتفعتْ درجة التشبيه في البلاغة قليلاً، لأنّ حذف أحدِ هذين يُقوِّي ادّعاء اتحادِ المشبه والمشبه به بعض التقوية. أما أبلغُ أنواع التشبيه «فالتشبيه البليغ» لأنه مبنيٌّ على ادّعاءِ أن المشبه والمشبه به شيء واحد.

هذا، وقد جرى العرب والمُحدَثون على تشبيه الجَوادِ بالبحر والمطر، والشُّجاع بالأسد، والوجهِ الحسنِ بالشمسِ والقمرِ، والشَّهْم الماضي في الأمور بالسيف، والعالي المنزلة بالنجم، والحليم الرزينِ بالنَجم، والأمانيِّ الكاذبة بالأحلام، والوجهِ الصبيح بالدينار، والشعرِ الفاحم بالليل، والماء الصافي باللُّجَيْن، والليل بموج البحر، والجيشِ بالبحر الزاخر، والخيل بالريح والبَرْق، والنجوم بالدُّرر والأزهار، والأسنانِ بالبَرَد واللؤلؤ، والسفنِ بالجبال، والجداولِ بالحيّات الملتوية، والشَّيْبِ بالنهار، ولَمعِ السيوفِ وغُرّة الفرس بالهلال. ويشبّهون الجبانَ بالنَّعامة والذبابة، واللئيم بالثعلبِ، والطائشَ بالفَراش، والذليلَ بالوَتِدِ، والقاسي بالحديد والصخر، والبليدَ بالحمار، والبخيلَ بالأرضِ الْمُجْدِبة.

وقد اشتهرَ رجالٌ من العرب بخِلالٍ محمودة، فصاروا فيها أعلاماً، فجرى التشبيهُ بهم، فيشبَّه الوفيُّ بالسَّمَوءل[١]، والكريم بحاتِم، والعادلُ بعمر[٢]، والحليم بالأحنف[٣]، والفصيحُ بسَحْبان، والخطيبُ بقَسٍّ[٤]، والشجاعُ بعمرو بن مَعْدِيكَرِبَ، والحكيمُ بلُقْمانَ[٥]، والذكيُّ بإِياسٍ.

---

(١) هو السموءل بن حيّان اليهودي، يُضرب به المثل في الوفاء، وهو من شعراء الجاهلية، توفي سنة ٦٢ ق .هـ .

(٢) هو أمير المؤمنين وخليفة المسلمين وأحدُ السابقين إلى الإسلام الأولين، اشتهرَ بعدله وتواضُعه وزُهده . وقد نصر الله به الإسلام وأعزّه . توفي سنة ٢٢ هـ .

(٣) هو الأحنفُ بن قيس من سادات التابعين . كان شهماً حليماً، عزيزاً في قومه . إذا غضبَ غضبَ له مائةُ ألفِ سيفٍ لا يسألون لماذا غضب . توفي سنة ٦٧هـ .

(٤) هو قَسُّ بن ساعدةَ الإياديّ، خطيب العرب قاطبة، ويُضرب به المثل في البلاغة والحكمة.

(٥) حكيم مشهور آتاه الله الحكمة، أي الإصابةَ بالقول والعمل .

واشتهر آخرون بصفاتٍ ذميمة، فجرى التشبيه بهم أيضاً، فيُشبَّهُ العَييُّ بباقل[١]، والأحمق بهبَنَّقَةَ[٢]، والنادمُ بالكُسَعيِّ[٣]، والبخيلُ بمادر[٤]، والهجّاءُ بالحُطَيْئةِ[٥]، والقاسي بالحجاج الثقفي، أحدِ جبابرة العرب المتوفى سنة ٩٧هـ.

* * *

(١) رجل اشتهر بالعي، اشترى غزالاً مرةً بأحدَ عشرَ درهماً، فسئل عن ثمنهِ فمدّ أصابعَ كفّيه، يريد عشَرة، وأخرجَ لسانه ليكملها أحدَ عشرَ، ففرّ الغزالُ، فضربَ به المثلُ في العيّ.

(٢) هو لقبُ أبي الودعات يزيدَ بنِ ثَروان القيسيّ، يُضرب به المثل في الحمق.

(٣) هو غامدُ بن الحرث، خرجَ مرة للصيد فأصابَ خمسة حُمر بخمسةِ أسهم، وكان يظنُّ كلَّ مرةٍ أنه مخطئ، فغضبَ وكسرَ قوسَه . ولما أصبحَ رأى الحمرَ مصروعةً والأسهمَ مخضبةً بالدم، فندم على كسر قوسه، وعضّ على إبهامه فقطعها.

(٤) لقبُ رجلٍ من بني هلال، اسمُه مُخارق، وكان مشهوراً بالبُخل واللؤم.

(٥) شاعر مخضرم، كان هجاءً مرّاً، ولم يكدْ يسلَمُ من لسانه أحد، هجا أمّه، وأباه، ونفسه . وله ديوان شعر، وتوفي سنة ٤٠هـ .

الباب الثاني

في المجاز[1]

المجاز مُشتقٌّ من جازَ الشيءَ يَجوزُه، إذا تعدّاهُ، سَمَّوا به اللفظَ الذي نُقِلَ من معناه الأصلي، واستُعمِلَ ليَدُلَّ على معنًى غيره، مناسبٍ له.

والمجاز: من أحسن الوسائل البيانيّة التي تَهدي إليها الطبيعة، لإيضاح المعنى، إذْ به يخرجُ المعنى متَّصفاً بصفةٍ حسيّة، تكادُ تعرضُه على عَيانِ السامع. لهذا شُغفت العربُ باستعمال المجاز لميلها إلى الاتساع في الكلام، وإلى الدَّلالة على كثرةِ معاني الألفاظ. ولِما فيه من الدِّقّة في التعبير، فيحصُل للنفس به سرور وأريحيّة. ولأمرٍ ما كثُرَ في كلامهم، حتى أتَوا فيه بكلِّ معنى رائق، وزيّنوا به خطبَهم وأشعارهم.

وفي هذا الباب مباحث:

المبحث الأول

في تعريف المجاز وأنواعه

المجاز: هو اللفظُ المستعملُ في غيرِ ما وُضع له في اصطلاح التخاطُب لعَلاقةٍ، مع قرينةٍ[2] مانعةٍ من إرادة المعنى الوَضْعي.

---

(١) أقول: إن المخلوقاتِ كلَّها تفتقرُ إلى أسماء، يُستدلُّ بها عليها، ليعرفَ كلٌّ منها باسمه، من أجل التفاهم بين الناس. وهذا يقعُ ضرورةً لا بدّ منها. فالاسم الموضوع بإزاء المسمى هو حقيقة له. فإذا نُقل إلى غيره صارَ مجازاً.
واعلمْ أنه ليس لكل مجازٍ حقيقةٌ يتفرّع عنها، فلفظ (الرحمن) استعملَ مجازاً في المنعم، ولم يستعمل في معناه الوضعي، وهو الرقيق القلب، ولكن الغالبَ أن يتفرعَ المجاز عن الحقيقة.

(٢) القرينة: هي الأمر الذي يجعله المتكلمُ دليلاً على أنه أرادَ باللفظ غيرَ ما وُضع له. فهي تصرفُ الذهن عن المعنى الوضعيِّ، إلى المعنى المجازي. وبتقييد القرينة بمانعةٍ خرجت الكناية. فإنّ قرينتَها لا تمنعُ من إرادة المعنى الأصلي. والقرينةُ إما لفظيةٌ، أو حالية. فاللفظية: هي التي يُلفظ بها في التركيب. والحالية: هي التي تُفهم من حال المتكلم، أو=

والعلاقة: هي المناسَبةُ[١] بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي، قد تكون المشابهة بين المعنيين، وقد تكون غيرَها. فإذا كانت العلاقةُ المشابهة فالمجازُ استعارةٌ، وإلا فهو مجازٌ مرسَل.

والقرينة: وهي المانعةُ من إرادةِ المعنى الحقيقي، قد تكون لفظيةً، وقد تكون حالية، كما سيأتي.

وينقسم المجازُ إلى أربعة أقسام: مجازٍ مفردٍ مُرسل، ومجازٍ مفردٍ بالاستعارة (ويجريان في الكلمة)، ومجازٍ مركبٍ مرسل، ومجازٍ مركبٍ بالاستعارة (ويجريان في الكلام).

ومتى أطلقَ المجازُ انصرف إلى المجاز اللّغوي.

وأنواعُ المجاز كثيرةٌ أهمُّها المجازُ المرسل، وهو المقصودُ بالذات، وسيأتي مجازٌ يُسمّى «المجاز العقلي» ويَجْري في الإسناد.

المبحث الثاني

في المجاز اللغوي المفرد المُرسل[٢]، وعلاقاته

المجاز المفردُ المُرسل: هو الكلمةُ المستعملةُ قصداً في غيرِ معناها الأصليّ، لملاحظةِ علاقةٍ غيرِ المُشابهة مع قرينةٍ دالّة على عدمِ إرادةِ المعنى الوضعي.

وله علاقات كثيرة، أهمُّها:

= من الواقع. وأما القرينة التي تُعين المرادَ من المجاز، فليست شرطاً.
واعلمْ أن كلاً من المجاز والكناية في حاجة إلى قرينة، ولكنها في المجاز مانعةٌ، وفي الكناية غيرُ مانعة.

(١) العلاقة هي المناسبةُ بين المعنى المنقولِ عنه والمنقول إليه. وسُميت بذلك لأنّ بها يتعلقُ ويَرتبط المعنى الثاني بالأول. فينتقلُ الذهنُ من الأول للثاني. وباشتراط ملاحظة العلاقة، يخرجُ الغلط، كقولك: خُذْ هذا الكتاب. مشيراً إلى فرسٍ مثلاً، إذ لا علاقة هنا ملحوظة.

(٢) سمي مرسلاً لإطلاقه عن التقييدِ بعلاقةٍ واحدة مخصوصة، بل له علاقاتٌ كثيرة. واسمُ العلاقة يستفادُ من وصف الكلمة التي تُذكر في الجملة. وليس المقصدُ من العلاقة إلا بيانَ الارتباط والمناسبة. فالفطِنُ يرى ما يناسبُ كلَّ مقام.
وقيل: سُمّيَ مرسلاً لأنه أُرسِلَ عن دعوى الاتحاد المعتبرة في الاستعارة.

١ - السببيّة: وهي كونُ الشيء المنقولِ عنه سبباً، ومُؤثراً في غيره، وذلك فيما إذا ذُكر لفظُ السبب، وأريد منه المُسبَّب، نحو: رَعَتِ الماشيةُ الغيثَ، أي النبات، لأن الغيثَ، أي المطر، سببٌ فيه[١]. وقرينتُه لفظية، وهي (رَعتْ)، لأنّ العلاقة تُعتبر من جهة المعنى المنقول عنه. ونحو: لفُلانٍ عليَّ يدٌ: تريد باليد النِّعمة، لأنها سببٌ فيها.

٢ - والمسبَّبيّة: هي أن يكون المنقولُ عنه مُسبّباً، وأثراً لشيء آخرَ. وذلك فيما إذا ذُكر لفظُ المسبَّب، وأُريد منه السبب، نحو: ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا﴾[٢]، أي مطراً يسبِّبُ الرزق.

٣ - والكُليّة: هي كونُ الشيء متضمّناً للمقصودِ ولغيره، وذلك فيما إذا ذُكر لفظ الكلِّ، وأُريد منه الجُزءُ، نحو: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم﴾[٣]، أي أنامِلَهم، والقرينةُ (حالية)، وهي استحالةُ إدخالِ الإصبع كلِّه في الأذن.

ونحو: شربتُ ماءَ النيل، والمراد بعضه، بقرينة شربت.

٤ - والجُزئية: هي كونُ المذكورِ ضمنَ شيءٍ آخرَ، وذلك فيما إذا ذُكر لفظُ الجزء، وأُريد منه الكل، كقوله تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾[٤]. ونحو: نشرَ الحاكمُ عيونَه في المدينة، أي الجواسيس، فالعيونُ مجازٌ مُرسل، علاقتُه (الجزئية) لأنّ كلّ عينٍ جزءٌ من جاسوسها، والقرينة الاستحالة.

---

(١) وكقول الشاعر:

لـه أيادٍ عـلـيَّ سـابـغـة ... أعُـدُّ مـنـهـا ولا أعـدُّهـا

وكقوله:

قـامَـتْ تُـظـلّـلُـنـي مـن الـشـمـسِ ... نـفـسٌ أعَـزُّ عـلـيَّ مـن نـفـسـي

قـامَـتْ تُـظـلـلـنـي ومـن عـجَـبٍ ... شـمـسٌ تـظـلـلـنـي مـن الـشـمـس

فائدة: القصدُ من العلاقة إنما هو تحقُّق الارتباط . والذكيُّ يعرفُ مقالَ كلِّ مقام . ثم إن العلاقة قيل: تعتبر من جهة المعنى المنقول عنه، الذي هو الحقيقي . وقيل: تعتبرُ من جهة المعنى المنقول إليه، لأنه المدارُ . وقيل: تُعتبر من جهتهما، رعايةً لحقِّيهما .
واعلمْ أن اللفظَ الواحد قد يكونُ صالحاً بالنسبة إلى معنى واحد، لأن يكون مجازاً مرسلاً واستعارةً باعتبارين .

(٢) سورة غافر، الآية ١٣ .

(٣) سورة البقرة، الآية ١٩ .

(٤) سورة النساء، الآية ٩٢ .

٥ - واللازميّة: هي كون الشيء يجبُ وجودُه، عندَ وجود شيء آخر، نحو: طلعَ الضّوءُ، أي: الشمس. فالضوءُ مجازٌ مرسل. علاقته (اللازميّة)، لأنه يوجَد عندَ وجودِ الشمس. والمعتبرُ هنا اللزوم الخاصُّ، وهو عدمُ الانفكاك.

٦ - والملزومية: هي كونُ الشيء يجبُ عندَ وجودِه وجودُ شيء آخر، نحو: ملأتِ الشّمسُ المكانَ. أي: الضّوء، فالشمسُ مجازٌ مرسَل علاقتُه (الملزومية) لأنها متى وُجدت وُجد الضوء، والقرينةُ «ملأت».

٧ - والآلية: هي كونُ الشيء واسطةً لإيصالِ أثرِ شيءٍ إلى آخرَ، وذلك فيما إذا ذُكر اسمُ الآلة، وأُريد الأثر الذي ينتجُ عنه، نحو: ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾[1] أي ذكراً حسناً فلسان بمعنى ذكرٍ حسَنٍ مجازٌ مرسل، علاقته الآلية، لأنّ اللّسان آلةٌ في الذّكر الحسَن.

٨ - والتقييدُ ثمّ الإطلاق: هو كونُ الشيء مقيّداً بقيدٍ أو أكثرَ، نحو: مِشفَرُ زيدٍ مجروحٌ. فإن المِشفَر لغةً: شَفَةُ البعير، ثم أُريدَ هنا مطلقُ شفة، فكان في هذا منقولاً عن المقيد إلى المطلق، وكان مجازاً مرسلاً، علاقتُه التقييدُ، ثم نُقِلَ من مطلقِ شفةٍ، إلى شفةِ الإنسان. فكان مجازاً مرسلاً بمرتبتين، وكانتْ علاقته التّقييد والإطلاق.

٩ - والعمومُ: هو كونُ الشيء شاملاً لكثير، نحو قوله تعالى: ﴿أَمۡ يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ﴾[2] أي النبي ﷺ. فالناسُ مجازٌ مُرسل، علاقته العموم. ومثله قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾[3] فإن المراد من الناس واحدٌ، وهو «نُعيم بنُ مسعودٍ الأشجعيُّ».

١٠ - والخصوصُ: هو كونُ اللّفظِ خاصّاً بشيءٍ واحدٍ، كإطلاقِ اسمِ الشّخص على القبيلة. نحو: ربيعة، وقُريش.

١١ - واعتبار ما كان: هو النّظر إلى الماضي، أي تسميةُ الشيء باسم ما

---

(١) سورة الشعراء، الآية ٨٤ .
(٢) سورة النساء، الآية ٥٤ .
(٣) سورة آل عمران، الآية ١٧٣ .

كان عليه، نحو: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ﴾[١] أي الذين كانوا يتامى، ثم بلغوا. فاليتامى مجازٌ مُرسَل، علاقته اعتبار ما كان.

وهذا إذا جرينا على أنّ دلالةَ الصِّفةِ على الحاضر حقيقةٌ، وعلى ما عداه مجازٌ.

١٢ - واعتبار ما يَكون: هو النّظرُ إلى المستقبل، وذلك فيما إذا أُطلقَ اسم الشيء على ما يؤولُ إليه، كقوله تعالى: ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا﴾[٢]. أي عصيراً يَؤولُ أمرُه إلى خمر، لأنّه حالَ عصرِه لا يكون خمراً. فالعلاقة هنا اعتبار ما يؤول إليه.

ونحو: ﴿وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾[٣] والمولودُ حين يُولَدُ لا يكون فاجراً ولا كافراً، ولكنه قد يكونُ كذلك بعدَ الطفولةِ.

فأُطلقَ المولودُ الفاجرُ، وأُريد به الرجلُ الفاجر، والعلاقة اعتبارُ ما يكون.

١٣ - والحاليّة: هي كونُ الشيء حالاً في غيره، وذلك فيما إذا ذُكر لفظُ الحال، وأُريدَ المحلُّ لما بينهما من الملازمة، نحو: ﴿فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[٤] فالمراد من الرحمة الجنّةُ التي تَحُلُّ فيها الرّحمةُ. فهم في جنّةٍ تحلُّ فيها رحمةُ الله. ففيه مجازٌ مرسَل، علاقتُه الحالية. وكقوله تعالى: ﴿خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾[٥] أي لباسَكُم لحلولِ الزينةِ فيه. فالزينة حالٌّ واللباسُ محلُّها، ونحو: أرى بَياضاً يَظهرُ ويختفي، وأرى حركةً تَعلو وتسفُل.

١٤ - والمحليّة: هي كونُ الشيء يحُلُّ فيه غيرُه، وذلك فيما إذا ذُكر لفظُ المحلّ، وأريد به الحالُّ فيه، كقوله تعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ﴾[٦]. والمرادُ

---

(١) سورة النساء، الآية ٢ .
(٢) سورة يوسف، الآية ٣٦ .
(٣) سورة نوح، الآية ٢٧ .
(٤) سورة آل عمران، الآية ١٠٧ .
(٥) سورة الأعراف، الآية ٣١ .
(٦) سورة العلق، الآية ١٧ .

مَن يحُلُّ في النّادي. وكقوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم﴾[١] أي ألسنتِهم، لأنّ القولَ لا يكونُ عادةً إلا بها.

١٥ - والبَدليّة: هي كونُ الشيء بدلاً عن شيء آخر، كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[٢] والمراد: الأداء.

١٦ - والمُبدليّة: هي كونُ الشيء مُبدلاً منه شيءٌ آخر، نحو: أكلتُ دمَ زيدٍ، أي دِيَتَه. فالدّمُ مجازٌ مرسل، علاقته المُبْدليّة لأنّ الدَّم مُبدل عنه (الدِّيَة).

١٧ - والمُجاورة: هي كونُ الشيء مجاوراً لشيءٍ آخرَ، نحو: كلّمتُ الجدارَ والعامودَ، أي الجالس بجوارهما، فالجدارُ والعامودُ مجازانِ مرسَلان علاقتُهما المجاورة.

١٨ - والتعلُّق الاشتقاقيّ: هو إقامةُ صيغةٍ مقامَ أخرى، وذلك:

أ - كإطلاق المصدر على اسم المفعول، في قوله تعالى: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾[٣]، أي مصنوعه.

ب - وكإطلاق اسم الفاعل على المصدر، في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَٰذِبَةٌ ۝٢﴾[٤] أي تكذيب.

ج - وكإطلاق اسم الفاعل على اسم المفعول، في قوله: ﴿لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾[٥]، أي: لا معصوم.

د - وكإطلاق اسم المفعول على اسم الفاعل، في قوله تعالى: ﴿حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾[٦] أي ساتراً.

والقرينةُ على مجازيةِ ما تقدّم، هي ذكرُ ما يمنعُ إرادةَ المعنى الأصلي.

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٦٧ .
(٢) سورة النساء، الآية ١٠٣ .
(٣) سورة النمل، الآية ٨٨ .
(٤) سورة الواقعة، الآية ٢ .
(٥) سورة هود، الآية ٤٣ .
(٦) سورة الإسراء، الآية ٤٥ .

المبحث الثالث

في تعريف المجاز العقلي وعلاقاته[١]

المجازُ العقلي: هو إسنادُ الفعل، أو ما في معناه من اسم فاعلٍ، أو اسم مفعول أو مصدرٍ إلى غيرِ ما هو له في الظاهر، من المتكلّم، لعلاقةٍ مع قرينةٍ تمنعُ من أن يكونَ الإسنادُ إلى ما هو له.

أشهر علاقات المجاز العقلي

١ - الإسناد إلى الزمان، نحو: «مَنْ سَرّه زمنٌ ساءتْه أزمانُ»، أسندَ الإساءةَ والسرور إلى الزمن، وهو لم يفعلهما، بل كانا واقعينِ فيه على سبيل المجاز.

٢ - الإسناد إلى المكان، نحو: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ﴾[٢] فقد أسندَ الجريَ إلى الأنهار، وهي أمكنةٌ للمياه، وليست جاريةً بل الجاري ماؤُها.

٣ - الإسناد إلى السَّبب، نحو:

إنّي لمن معشرٍ أفنى أوائلَهم قيلُ الكماة: ألا أينَ المُحامونا؟

فقد نُسِبَ الإفناءُ إلى قولِ الشُّجعان: هل من مُبارز؟ وليس ذلك القول بفاعلٍ له، ومؤثّرٍ فيه، وإنما هو سَببٌ فقط.

٤ - الإسناد إلى المصدر: كقول أبي فِراسٍ الحَمْداني:

سيذكرني قومي إذا جَدَّ جِدُّهمْ وفي اللّيلة الظّلماءِ يُفتَقَدُ البدرُ

فقد أسند الجدَّ إلى الجِدّ، أي الاجتهاد، وهو ليس بفاعلٍ له، بل فاعله الجاد، فأصلُه جدَّ الجادُّ جدّاً، أي اجتهد اجتهاداً، فحُذف الفاعلُ الأصلي وهو الجادُّ، وأُسندَ الفعلُ إلى الجدّ.

٥ - إسنادُ ما بُنيَ للفاعل إلى المفعول، نحو: سَرّني حديثُ الوامقِ. فقد استُعمل اسمُ الفاعل، وهو الوامقُ، أي المحبُّ، بدل المموق، أي: المحبوب، فإن المرادَ: سُرِرْتُ بمحادثة المحبوب.

---

(١) سمي عقلياً لأن التجوّز فهمٌ من (العقل) لا من (اللغة) كما في المجاز اللغوي.

(٢) سورة الأنعام، الآية ٦.

٦ - إسنادُ ما بُني للمفعول إلى الفاعل، نحو: «جعلتُ بيني وبينك حجاباً مستوراً» أي ساتراً، فقد جُعل الحجابُ مستوراً، مع أنّه هو السّاتر.

تنبيهات

أ - كما يكونُ هذا المجازُ في الإسناد، يقعُ في النِّسبة الإضافية، نحو: جرْيُ الأنهار، وغُرابُ البَيْن، ومكرُ الليل. فنسبةُ الجري إلى الأنهار مجازٌ علاقته المكانية، ونسبةُ البَيْن إلى الغُراب مجازٌ علاقته السببية، ونسبة المكر إلى الليل مجازٌ علاقته الزمانية.

ب - الفعلُ المبني للفاعل، واسمُ الفاعل، إذا أسندا إلى المفعول، فالعلاقةُ المفعوليةُ. والفعل المبنيّ للمجهول، واسم المفعول، إذا أُسندا إلى الفاعل فالعلاقةُ الفاعليّة. واسمُ المفعول المستعملُ في موضع اسم الفاعل مجازٌ علاقته الفاعلية. واسمُ الفاعل المستعملُ في موضع اسم المفعولِ مجازٌ علاقتُه المفعولية.

ج - هذا المجاز مادةُ الشاعر المُفلقِ[١]، والكاتبِ البليغ، وطريقٌ من طُرُق البيان لا يَستغني عنها واحد منهما.

تطبيق على أشهر علاقات المجاز العام

اذكر علاقات المجاز المرسل فيما يلي:

- أبا المِسْكِ أَرْجو منكَ نَصْراً على العِدا وآمُلُ عِزّاً يَخْضبُ البِيضَ بالدَّم[٢]

ويوماً يَغيظُ الحاسدينَ وحالةً أُقِيمُ الشّقا فيها مَقام التّنعُّم[٣]

- قال الله تعالى: ﴿لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾[٤].

- ذهبنا إلى حديقةِ غَنّاء.

---

(١) الذي يأتي بالشعر المُعْجب.

(٢) أبا المسك: كنيةُ كافورٍ الإخشيدي. والبيض: السيوف. يقول: أرجو منك أن تنصُرَني على أعدائي، وأن تُوليَني عزّاً أتمكّنُ به منهم، وأخضبُ سيوفي بدمائهم.

(٣) يقول: وأرجو أن أبلغَ بك يوماً يغتاظُ فيه حسّادي، لِما يَرونَ من إعظامِك لقدري، وكذلك أرجو أن أبلغَ بك حالةً تساعدني على الانتقام منهم، فأتنعّم بشقائي في حربهم.

(٤) سورة هود، الآية ٤٣.

- بنى إسماعيلُ كثيراً من المدارس بمصر.

- تكادُ عَطاياه يُجَنُّ جُنونُها إذا لم يُعَوِّذْها برُقية طالبِ[1]

الإجابة

- عزّاً يخضبُ البيض بالدم.

إسنادُ خضبِ السيوفِ بالدم إلى ضميرِ العزِّ غيرُ حقيقي، لأنّ العزّ لا يخضبُ السيوف ولكنه سبب القوة، وجمعُ الأبطال الذين يخضبون السيف بالدم. ففي العبارة مجازٌ عقلي، علاقته السببية.

- ويوماً يغيظ الحاسدين.

إسنادُ غيظِ الحاسدين إلى ضميرِ اليوم غيرُ حقيقي. غيرَ أن اليومَ هو الزمانُ الذي يحصلُ فيه الغيظُ، ففي الكلام مجازٌ عقليٌّ، علاقته الزمانية.

- لا عاصمَ اليومَ من أمرِ الله.

المعنى لا معصومَ[2] اليومَ من أمرِ الله إلا من رحمهُ اللهُ، فاسمُ الفاعلِ أُسند إلى المفعول، وهذا مجاز عقلي، علاقته المفعولية.

- ذهبنا إلى حديقة غنّاء.

غنّاء مشتقةٌ من الغَنِّ، والحديقةُ لا تَغَنُّ، وإنما الذي يَغَنُّ عصافيرُها، أو ذبابها، ففي الكلام مجازٌ عقلي، علاقته المكانية.

- بنى إسماعيلُ كثيراً من المدارس.

إسماعيل: أميرُ مصر لم يَبْنِ بنفسه، ولكنه أمر، ففي الإسناد مجازٌ عقلي، علاقتُه السببية.

- تكادُ عطاياهُ يُجنّ جنونها، إسنادُ الفعل إلى المصدرِ مجازٌ عقلي، علاقته المصدرية.

---

(١) يعوّذها: يحصنها . ورقية: ما يُرقى بها الإنسانُ من عين حاسد .

(٢) يجوزُ أن تكونَ «عاصم» مستعملة في حقيقتها، ويكون المعنى لا شيءَ يعصمُ الناسَ من قضاء الله إلا من رحمه الله منهم، فإنه تعالى هو الذي يعصمه .

نموذج آخر

بَيِّنِ المجازَ العقليَّ، واذكر علاقته فيما يلي:

(١) أهلكنا الليلُ والنّهار[١].

(٢) منزلٌ عامرٌ بنِعَم الله[٢].

(٣) أنشأ وزيرُ المعارفِ عدةَ مدارس[٣].

(٤) مَشْرَبٌ عَذبٌ.[٤]

(٥) ﴿هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾[٥][٦].

(٦) ﴿رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ﴾[٧][٨].

بلاغة المجاز المرسل[٩] والمجاز العقلي

إذا تأملتَ أنواعَ المجاز المرسَلِ والعقليِّ رأيتَ أنّها في الغالب تؤدي المعنى المقصودَ بإيجاز. فإذا قلتَ: «هزمَ القائدُ الجيشَ» أو «قرَّرَ المجلسُ كذا» كان ذلك أوجزَ من أن تقول: «هزمَ جنودُ القائدِ الجيشَ» أو «قرّر أهلُ المجلس كذا» ولا شكّ أن الإيجاز ضَرْبٌ من ضروب البلاغة.

---

(١) في قوله: أهلكنا الليل والنهار، مجازٌ عقلي، علاقتُه السببية، فقد نسب الإهلاكَ إلى الليل والنهار، مع أن فاعلَه هو الله تعالى . وهذان سببان فيه .

(٢) في قوله: منزل عامر بنعم الله، مجاز عقلي، علاقته المفعولية، إذ قد أسند اسمَ الفاعل إلى المفعول في المعنى .

(٣) في قوله: أنشأ وزيرُ المعارف عدة مدارس، مجاز عقلي علاقته السببية، إذ نسبَ الإنشاء إلى الوزير . وهو السبب فقط .

(٤) في قوله: مَشرب عذب، نسب العذوبةَ إلى المكان لا إلى الماءِ، مجاز لعلاقة المكانية .

(٥) العصيبة: الشديدة، خطوبُ اليوم وحوادثُه، لا هو . فوصفُه بذلك وصفٌ للزمان، فهو مجازٌ علاقته الزمانية .

(٦) سورة هود، الآية ٧٧ .

(٧) أسند الربح إلى التجارة، والرابحُ هو صاحبُها، لا هي . فهو مجاز علاقته المفعولية .

(٨) سورة البقرة، الآية ١٦ .

(٩) المجاز المرسل: يوسّع اللغة ويعينُ على الافتنان في التعبير، ويساعدُ الكاتبَ والخطيبَ على إيراد المعنى الواحد بصور مختلفة . وقد تدعو إليه، كما في «الطراز» حليةٌ لفظية من تقفية، أو ضرورة شعرية، أو مُشاكلة، أو اختصار، أو خفة في لفظه . وكثيراً ما يكون الداعي إليه راجعاً إلى المعنى .

وهناك مظهرٌ آخرُ للبلاغة في هذينِ المجازَينِ، هو المهارةُ في تخيُّر العلاقة بين المعنى الأصليِّ والمعنى المجازيّ، بحيثُ يكونُ المجازُ مُصَوِّراً للمعنى المقصود خير تصوير، كما في إطلاق العين على الجاسوس، والأُذنِ على سريع التأثُّر بالوشاية، والخُفِّ والحافر على الجمال والخيل، في المجاز المرسل. وكما في إسناد الشيء إلى سببِهِ، أو مكانِهِ، أو زمانِهِ، في المجاز العقلي. فإن البلاغة توجبُ أن يُختارَ السببُ القويُّ، والمكانُ والزمانُ المختصّان.

وإذا دقّقتَ النّظرَ رأيتَ أنّ أغلبَ ضروبِ المجاز المرسل، والمجاز العقلي لا تَخلو من مبالغةٍ بديعة، ذاتِ أثرٍ في جعل المجازِ رائعاً خلّاباً، فإنّ إطلاقَ الكُلِّ على الجزء مبالغة. ومثلُه إطلاقُ الجزءِ وإرادةُ الكلّ، كما إذا قلتَ: «فلانٌ فَمٌ». تريدُ أنه شَرِهٌ، يَلْتقمُ كلَّ شيء.

ونحوه: «فلانٌ أنْفٌ» عندما تريدُ أن تصِفَه بعِظَمِ الأنف، فتبالغَ فتجعلَه كلَّه أنفاً.

ومما يُؤثر عن بعض الأدباء في وصفِ رجلٍ أنافِيٍّ[1] قوله: «لستُ أَدري: أَهُوَ في أنْفه، أم أنْفهُ فيه»؟

المبحث الرابع

في المجاز المفرد بالاستعارة

تمهيد:

سبق أنّ التّشبيه أولُ طريقةٍ دلّت عليها الطّبيعة، لإيضاحِ أمرٍ يجهلُه المخاطب بذكرِ شيءٍ آخر، معروفٍ عنده، ليقيسَه عليه. وقد نتجَ من هذه النظرية نظريةٌ أخرى في تراكيب الكلام، تَرى فيها ذكرَ المشبهِ به فقط، وتسمى هذه بالاستعارة. وقد جاءتْ هذه التراكيبُ المشتملةُ على الاستعارة أبلغَ من تراكيب التشبيه، وأشدَّ وقعاً في نفسِ المخاطب، لأنه كلما كانتْ داعيةً إلى التحليق في سماءِ الخيال، كان وَقْعُها في النفس أشدَّ، ومنزلتها في البلاغة أعلى.

---

(١) الأنافي: عظيم الأنف - عن البلاغة الواضحة .

وما يَبتكِرهُ أمراءُ الكلام من أنواع صور الاستعارة البديعة، التي تأخذُ بمجامعِ الأفئدة، وتملكُ على القارئ والسامعِ لُبَّهما وعواطِفَهما. (هو سِرّ بلاغة الاستعارة).

فمن الصُّور المُجملة التي عليها طابَعُ الابتكار وروعةُ الجمال قولُ شاعر الحماسة:

قومٌ إذا الشَّرُّ أبدى ناجِذَيْهِ[1] لَهُمْ طاروا إليه زُرافاتٍ[2] ووحدانا

فإنه قد صوَّرَ لك الشرّ بصورة حيوانٍ مُفترسٍ مُكشِّرٍ عن أنيابه، ممّا يملأ فؤادَك رُعْباً، ثم صوّر القومَ الذين يَعنيهم، بصُورِ طيورٍ جوارحَ تطيرُ إلى مصادمةِ الأعداء طيراناً، مما يَستثير إعجابَكَ بنجْدَتِهم، ويدعوك إلى إكبار حَمِيَّتهم وشجاعتهم.

ومنهم مَن يعمدُ إلى الصورةِ التي يرسمُها، فيفصِّل أجزاءَها، ويبيِّنُ لكلِّ جُزءٍ مزيَّتَه الخاصة، كقول امرئ القيس في وصف الليل بالطُّول:

فقلتُ لهُ لَمّا تَمطّى بِصُلبهِ وأردَف أعجازاً وناءَ بكلْكَلِ[3]

فإنه لم يكتفِ بتمثيلِ الليل، بصورة شخصٍ طويل القامة، بل استوفى له جملةَ أركانِ الشخصِ، فاستعارَ صُلباً يتمطّى به، إذ كان كلُّ ذي صُلبٍ يزيدُ في طولهِ تمطِّيهِ، وبالَغَ في ذلك بأن جعلَ له أعجازاً يردفُ بعضُها بعضاً، ثم أرادَ أن يصفَه بالثقلِ على قلبِ ساهره، فاستعار له كَلكلاً ينوءُ بهِ (أي يثقُل به) ولا يَخفى عليكَ ما يتركُه هذا التفصيلُ البديعُ في قلبِ سامعهِ من الأثرِ العظيم، والارتياح الجميل.

ومنهم مَن لا يكتفي بالصورة يرسُمها، بل ينظرُ إلى ما يترتّبُ على الشيء، فيعقِّبُ تلك الصورةَ بأخرى أشدَّ وأوقع، كقول أبي الطيب المتنبي:

رماني الدَّهرُ بالأرزاءِ حتّى فؤادي في غِشاءٍ من نِبالِ[4]

---

(١) الناجذان: هما الضِّرسان.

(٢) جماعاتٍ.

(٣) تمطى: تمدد. والصلب: عظم في الظهر من لدن الكاهلِ إلى العجز. والعَجُز: مؤخر الجسم. والكلكل: الصدر، أو ما بين الترقوتين.

(٤) الأرزاء: المصائب. والغشاء: الغلاف. والنبال: السهام.

فـصِـرْتُ إذا أصـابَـتْـنـي سِـهـامٌ تكسّرَتِ النِّصالُ على النِّصالِ[١]

فإنه لم يكتفِ بتصويرهِ المصائبَ سهاماً في سرعةِ انصبابِها، وشدّة إيلامها، ولا بالمبالغةِ في وصفِ كثرتها، بأنْ جعل منها غشاءً محيطاً بفؤاده، حتى جعل ذلك الغشاءَ من المتانةِ والكثافة، بحيثُ إنّ تلك النِّصالَ مع استمرارِ انصبابِها عليه، لا تجدُ منفذاً إلى فؤاده، لأنها تتكسَّرُ على النِّصال التي سبَقتْها. فانظُرْ إلى هذا التمثيلِ الرائع. وقلْ لي: هل رأيتَ تصويراً أشدَّ منه لتراكُم المصائبِ والآلام؟

تعريف الاستعارة وبيانُ أنواعها

الاستعارة لغة: من قولهم: استعار المالَ: إذا طلبه عاريةً.

واصطلاحاً: هي استعمالُ اللفظ في غيرِ ما وُضِعَ له لعلاقةِ المشابهةِ بينَ المعنى المنقولِ عنه والمعنى المُستعملِ فيه، مع قرينةٍ صارفةٍ عن إرادةِ المعنى الأصلي.

والاستعارةُ ليست إلا تشبيهاً مُختصراً، لكنّها أبلَغُ منه[٢] كقولك: رأيتُ أسداً في المدرسة. فأصلُ هذه الاستعارة: «رأيتُ رجلاً شُجاعاً كالأسد في المدرسة».

فحذفْتَ المشبّه «لفظ رجل» وحذفتَ الأداة « الكاف»، وحذفتَ وجهَ التشبيه «الشجاعة»، وألحقتَه بقرينة «المدرسة»، لتدلَّ على أنك تُريد بالأسدِ شُجاعاً.

وأركان الاستعارة ثلاثة:

---

(١) النصال: حدائد السهام.

(٢) فأصل الاستعارة: تشبيهٌ حُذف أحدُ طرفيه، ووجه شبهه، وأداته. ولكنها أبلغُ منه، لأن التشبيه مهما تناهى في المبالغة. فلا بدّ فيه من ذِكر المشبه، والمشبه به. وهذا اعترافٌ بتبايُنِهما، وأن العلاقةَ ليست إلا التشابهَ والتّداني. فلا تصل إلى حدّ الاتحاد. بخلاف الاستعارةِ ففيها دعوى الاتحاد والامتزاج. وأن المشبه والمشبه به صارا معنى واحداً، يَصْدق عليهما لفظ واحد. فالاستعارة مجازٌ لغوي لا عقلي علاقته المشابهة.
واعلم أن حُسْن الاستعارة «غير التخييلية» لا يكونُ إلا برِعاية جهاتِ التشبيهِ، وذلك بأن يكون وافياً بإفادة الغرض منه، لأنها مبنية عليه، فهي تابعة له حسناً وقبحاً.

١ - مستعار منه - وهو المشبه به.

٢ - ومستعار له - وهو المشبه.

ويقال لهما: الطرفان.

٣ - ومستعار- وهو اللفظ المنقول.

فكلُّ مجازٍ يُبنى على التشبيه يُسَمّى استِعارةً.

ولا بُدّ فيها من عدم ذكرِ وجه الشبه، ولا أداةِ التشبيه، بل ولا بدّ أيضاً من تَناسي التّشبيه الذي من أجلهِ وقعتِ الاستعارةُ فقط، مع ادّعاءِ أنّ المشبّه عينُ المشبَّه به، أو ادّعاءِ أنّ المشبهَ فردٌ من أفرادِ المشبه به الكليّ، بأن يكونَ اسمَ جنسٍ، أو علَمَ جنس. ولا تتأتّى الاستعارةُ في «العَلَم الشّخصِيّ»[1] لعدم إمكان دخولِ شيءٍ في الحقيقة الشخصية، لأنّ نفسَ تصوُّر الجزئي يمنعُ من تَصوُّر الشّركة فيه، إلا إذا أفادَ العلمُ الشخصيُّ وصفاً به يصحُّ اعتباره كلياً، فتجوزُ استعارته، كتضمُّن «حاتم» للجُود، و«قَسّ» للفصاحة، فقال: رأيتُ حاتماً، وقَسّاً. بدعوى كلِّيَّةِ حاتِم وقَسّ، ودخولِ المشبه في جنسِ الجَواد والفصيح.

وللاستعارة أجملُ وقع في الكتابة، لأنها تُجدي الكلام قوّة، وتكسوهُ حُسْناً ورونقاً، وفيها تُثارُ الأهواء والإحساسات.

المبحث الخامس

في تقسيم الاستعارة باعتبارِ ما يُذكر من الطّرفين

إذا ذُكر في الكلام لفظُ المشبّه فقط فاستعارةٌ تصرِيحيّة أو مُصرَّحة[2] نحو:

---

(١) يعني أنّ الاستعارةَ تقتضي إدخالَ المشبه في جنس المشبه به . ولذلك لا تكون علَماً، لأن الجنسَ يقتضي العموم، والعلم يُنافي ذلك بما فيه من التشخص، إلا إذا كان العلمُ يتضمن وصفيةً قد اشتهر بها «كسحبان» المشهور بالفصاحة، فيجوز فيه ذلك لأنه يستفيدُ الجنسيةَ من الصفة، نحو: سمعتُ اليومَ سحبانَ . أي خطيباً فصيحاً - وهلم جرّاً .

(٢) معنى تصريحية: أي مُصرَّح فيها باللفظ الدالّ على المشبه به، المرادِ به المشبّه . وتسمى أيضاً تحقيقيةً . ومعنى مكنية: أي مخفيٌ فيه لفظ المشبه به، استغناءً بذكرِ شيءٍ من لوازمه. فلم يذكر فيها من أركان التشبيه سوى المشبه .

فأمْطرتْ لُؤْلؤاً من نرجِسٍ وسَقَتْ وَرْداً وعَضَّتْ على العُنّابِ بالبرَدِ

فقد استعار: اللّؤلؤ، والنّرْجسَ، والورد، والعُنّاب، والبرَد، للدموع، والعيون، والخُدود، والأنامل، والأسنان.

وإذا ذُكر في الكلام لفظُ المشبَّه فقط، وحُذف فيه المشبهُ به، وأُشير إليه بذكرِ لازمِهِ المسمّى «تَخْييلاً» فاستعارةٌ مَكْنيّة[1] أو بالكناية، كقوله:

---

(١) أي وهذا مذهبُ السلف، وكذا الزّمَخشري صاحب «الكشاف». وأما مذهب السكاكي فظاهرُ كلامهِ يُشعر بأن الاستعارةَ بالكناية لفظُ المشبه. أي كلفظ المنيّة في نحو: «أظفار المنيّة نشبت بفلان» المستعمل في المشبه به، بادعاءِ أنه عينُه. وبيان ذلك، أنه بعدَ تشبيه معنى المنية، وهو الموتُ، بمعنى السَّبُع. تدّعي أن المشبه عينُ المشبه به. وحينئذٍ يصيرُ للمشبه به فردان، أحدُهما حقيقي، والآخر ادعائي. فالمنيةُ مرادٌ بها السبع، بادّعاءِ السّبعية لها، وإنكارِ أن تكونَ شيئاً آخرَ غيرَ السبع، بقرينة إضافة الأظفار التي هي من خواصّ المشبه به وهو السبع. وأنكر السكاكي (التبعية) بمعنى أنها مرجوحةٌ عنده، واختارَ رَدَّها إلى قرينةِ المكنية، وردّ قرينتها إلى نفس المكنية. ففي: نطقت الحال مثلاً، يقدّرُ القومُ أن «نطقت» استعارةٌ تبعية والحالُ قرينة لها. وهو يقول: إنّ الحال استعارةٌ بالكناية، و «نَطقت» قرينتها. وفي كلامه نظر من وجهين:

الأول: إن لفظ المشبه، لم يُستعمل إلا في معناهُ الحقيقي. فلا يكون استعارة.

الثاني: أنه صرّحَ بأن نطقت مستعارةٌ للأمر الوهمي، أي المتوهَّم إثباتُه للحال، تشبيهاً بالنطق الحقيقي، فيكون استعارةً. والاستعارةُ في الفعل لا تكون إلا تبعيةً، فيلزمُه القول بالتبعية. وأُجيبَ عنه بأجوبةٍ تُطلب من المطوّلات.

وأما مذهبُ الخطيب فإنه يقول: إن الاستعارة بالكناية هي التشبيهُ المضمرُ أركانُه سوى المشبه المدلول عليه، بإثباتِ لازم المشبه به للمشبه. ويلزم على مذهبه أنه لا وجه لتسميتها استعارةً، لأن الاستعارة هيَ اللفظُ المستعمل في غيرِ ما وُضع له لعلاقةِ المشابهة، أو استعمال اللفظِ المذكورِ. والتشبيه غير ذلك، بل هو فعلٌ من أفعالِ النفس.

تنبيه: المشبه في مواد الاستعارة بالكناية، لا يجبُ أن يكون مذكوراً بلفظ المشبه به، فيجوز ذكرُه بغيرِ لفظه، كأنْ يُشبه شيءٌ كالنحافة واصفرار اللون، بأمرينِ كاللباس، والطعم المرّ البشع. ويستعمل لفظُ أحد الأمرين فيه، ويثبتُ له شيءٌ من لوازم الآخر. كما في قوله تعالى: ﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ﴾ [النحل: ١١٢]، فإنه شبّه ما غشيَ الإنسانَ عند الجوع والخوفِ من النحافة واصفرار اللون باللباس، لاشتماله على اللابس، واشتمال أثرِ الضررِ على مَن به ذلك. فاستُعير له اسمُه، وشُبه ما غشيَ الإنسانَ عند الجوع، أي ما يُدرك من أثر الضرر والألم، باعتبار أنه مُدْرَك من حيث الكراهية، بما يُدْرَك من الطعم المرّ البشع. حتى أوقع عليه الإذاقةَ. فتكون الآية مشتملة على الاستعارة المصرّحة، نظراً إلى الأول، والمكنية نظراً إلى الثاني. وتكون الإذاقةُ تخييلاً بالنسبةِ للمكنية، وتكون تجريداً بالنسبة إلى المصرحة، لأنها تلائمُ المشبهَ، وهو النحافة =

وإذا المنيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفارَها ألْفَيْتَ كلَّ تَميمةٍ لا تَنْفعُ

فقد شبَّه المنيّةَ بالسَّبُع، بجامعِ الاغتيالِ في كلٍّ، واستعارَ السَّبُعَ للمنيّة وحذَفه، ورمزَ إليه بشيء من لوازمِهِ وهو «الأظفار»، على طريق الاستعارة المكنية الأصلية، وقرينتُها لفظة «أظفار».

ثم أُخذَ الوهمُ في تصويرِ المنيّةِ بصورةِ السَّبُع، فاخترعَ لها مثلَ صورة الأظفار، ثم أطلقَ على الصُّورة التي هي مثلُ صورة الأظفار لفظ «الأظفار». فتكونُ لفظةُ «أظفار» استعارة تخييلية، لأنّ المستعارَ له لفظُ «أظفار» صورة وهميّة، تُشبه صورةَ الأظفار الحقيقية، وقرينتُها إضافتُها إلى المنية.

ونظراً إلى أنّ الاستعارةَ التخييلية قرينةُ المكنية، فهي لازمةٌ لا تفارقُها، لأنه لا استعارةَ بدون قرينة.

وإذاً، تكون أنواعُ الاستعارة ثلاثة: تصريحيّة، ومكنيّة، وتخييلية.

المبحث السادس

في الاستعارة باعتبار الطرفين[1]

إذا كان المستعارُ له محقَّقاً حِسّاً بأن يكونَ اللفظُ قد نُقلَ إلى أمرٍ معلوم،

= والاصفرار، لأنها مستعارة للإصابة . وكثرتْ فيها حتى جَرَتْ مَجرى الحقيقة . ويُقال: شبّه ما غشيَ الإنسانَ عند الجوع والخوف من أثرِ الضرر باللباس بجامع الاشتمال في كلٍّ، واستُعيرَ اسمُ المشبه به للمشبه، على سبيل الاستعارة التصريحية . وطريقُ إجراء الاستعارة الثانية، أن يقال: شبّهَ ما غشيَ الإنسانَ عند الجوع والخوف من أثر الضرر، بالطعم المرّ البشع، بجامع الكراهة في كلٍّ . واستُعيرَ لفظُ المشبه به للمشبه، ثم حُذف وأُثبت له شيءٌ من لوازمِهِ وهو (الإذاقة) على سبيل الاستعارة المكنية . وإثباتُ الإذاقة تخييلٌ . وطريقُ إجراء الاستعارة الثالثة أن يقال: شُبهت الإذاقة المتخيَّلة بالإذاقة المتحققة، واستعيرتِ المتحققةُ للمتخيلة، على سبيل التخييليةِ، على مذهب السكاكي .

(١) اعلم أن المذاهب في التخييلية أربعة:

الأول: مذهبُ السلف والخطيب: وهو أنّ جميعَ أفرادِ قرينةِ المكنية مستعملة في حقيقتها، والتجوزُ إنما هو في الإثبات لغيرِ ما هوَ له المسمّى استعارةً تخييليةً، فهما متلازمان، وهي من المجاز العقلي .

الثاني: مذهب السكاكي: وهو أن قرينةَ المكنية، تارةً تكونُ تخييليةً، أي مستعارةً لأمرٍ وهمي كأظفار المنية، وتارةً تكونُ تحقيقيةً، أي مستعارةً لأمرٍ مُحَقق كـ ﴿أَبَلَىٰ مَآءَكِ﴾=

يُمكنُ أن يُشارَ إليه إشارةً حسيّة، كقولك: رأيتُ بحراً يُعطي، أو كانَ المستعارُ له مُحققاً عقلاً بأن يمكنَ أن يُنصَّ عليه، ويُشارَ إليه إشارةً عقلية كقوله تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾[1] أي «الدِّينَ الحقَّ»، فالاستعارة تحقيقيّة.

وإنْ لم يكن المستعارُ له محققاً، لا حسّاً ولا عقلاً فالاستعارة تخييليّة، وذلك كالأظفار في نحو: أنشبتِ المنيّةُ أظفارَها بفلان.

=[هود: ٤٤]، وتارة حقيقة كـ «أنبتَ الربيعُ البقل» . فلا تلازُمَ بين التخييلية والمكنية، بل يوجدُ كلٌّ منهما بدون الآخر . وقد استدل السكاكي على انفراد التخييلية عن المكنية بقوله:

لا تَسْقِني ماءَ الملام فإنني ... صَبٌّ قد استعذبتُ ماءَ بُكائي

فإنه قد توهّم أنّ للملام شيئاً شبيهاً بالماء، واستعارَ اسمه له استعارةً تخييلية غيرَ تابعة للمكنية . وردّه العلامةُ الخطيبُ بأنه لا دليلَ له فيه لجوازِ أن يكونَ فيه استعارة بالكناية، فيكونُ قد شبّه الملامَ بشيء مكروه له ماء، وطَوى لفظَ المشبه به ورمزَ إليه بشيءٍ من لوازمه، وهو الماءُ، على طريق التخييل .

وأن يكونَ من بابِ إضافة المشبه به إلى المشبه . والأصلُ: لا تَسْقِني الملامَ الشبيهَ بالماء.

وأيضاً لا يَخْفى ما في مذهبِ السكاكي من التعسُّف . أي الخروج عن طريق الجادة لما فيه من كثرةِ الاعتبارات . وذلك أن المستعيرَ يحتاجُ إلى اعتبار أمرٍ وهمي، واعتبار علاقةٍ بينه وبينَ الأمر الحقيقي، واعتبارِ قرينةٍ دالةٍ على أن المرادَ من اللفظ الأمرُ الوهمي . فهذه اعتباراتٌ ثلاثة، لا يدلُّ عليها دليل، ولا تمسُّ إليها حاجة .

الثالث: مذهبُ صاحبِ الكشاف وهو أنها تكونُ تارةً مصرَّحة تحقيقية، وتارةً تكون تخييلية، أي مجازاً في الإثبات .

الرابع: مذهب صاحب «السمرقندية» وهو مثلُ صاحبِ الكشّاف . غيرَ أنّ الفرقَ بينهما أنّ مدارَ الأقسامِ عندَ صاحبِ الكشّاف على الشُّيوع وعدمه، وعندَ صاحب «السمرقندية» على الإمكان وعدَمه .

تنبيه: الفرقُ بين ما يُجْعَلُ قرينةً للمكنية وبينَ ما يُجعل نفسُه تخييلاً على مذهب السكاكي، أو استعارة تحقيقية على مذهب صاحب الكشاف في بعضِ المواد، وعلى مختار صاحب السمرقندية كذلك، أو إثباتِه تخييلاً على مذهب السَّلَف وصاحبِ الكشاف في بعض المواد، وعلى مختار السمرقندية كذلك، وبين ما يُجعل زائداً عليها (قوة الاختصاص) أي الارتباط بالمشبه به، فأيُّهما أقوى ارتباطاً به فهو (القرينة) وما سواهُ ترشيحٌ . وذلك كالنُّشب في قولك: مخالبُ المنيةِ نَشِبت بفلانٍ . فإن (المخالب) أقوى اختصاصاً وتعلقاً بالسَّبع من (النشب)، لأنها ملازمةٌ له دائماً، بخلاف النشب .

(١) سورة الفاتحة، الآية ٦ .

المبحث السابع

في الاستعارةِ باعتبارِ اللفظ المستعار

١ - إذا كان اللفظُ المستعارُ اسماً جامداً لذاتٍ كالبدر، إذا استُعير للجميل، أو اسماً جامداً لمعنى كالقتلِ إذا استُعيرَ للضَّرب الشَّديد سُمِّيتِ الاستعارةُ «أصليّة» في كلٍّ من التصريحية والمكنية، كقوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾(١)(٢)، وكقوله تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾(٣)(٤).

وسُمِّيتْ أصليّةً لعدمِ بنائها على تشبيهٍ تابعٍ لتشبيهٍ آخرَ مُعتبرٍ أوّلاً، كقول البحتري:

يُؤدُّون التَّحيَّةَ من بعيدٍ إلى قمَرٍ من الإيوانِ بادِ

٢ - وإذا كان اللفظُ المستعارُ فعلاً(٥) أو اسمَ فعلٍ، أو اسماً مُشتقّاً، أو اسماً مبهماً، أو حرفاً، فالاستعارةُ «تصريحيةٌ تبعيّةٌ» نحو:

---

(١) يقال في إجراء الاستعارة في الآية الأولى: شُبهت الضلالةُ بالظلمة بجامع عدم الاهتداء في كلٍّ، واستُعير اللفظُ الدالُّ على المشبه به، وهو الظلمة، للمشبهِ وهو الضّلالة، على الاستعارةِ التصريحية الأصلية.

(٢) سورة إبراهيم، الآية ١.

(٣) ويقال في إجراء الاستعارة في الآية الثانية: شُبِّه الذلُّ بطائر، واستُعيرَ لفظُ المشبه به وهو الطائر، للمشبهِ وهو الذل على طريق الاستعارة المكنية الأصلية، ثم حُذف الطائر، ورُمزَ إليه بشيءٍ من لوازمه وهو الجناح.

(٤) سورة الإسراء، الآية ٢٤.

(٥) مثال الاستعارة التصريحية في الفعل: نطقتِ الحالُ بكذا. وتقريرها أنْ يقال: شُبِّهت الدلالةُ الواضحة بالنطق بجامع إيضاح المعنى في كلٍّ، واستُعيرَ النطقُ للدَّلالةِ الواضحة، واشتقّ من النُّطق بمعنى الدَّلالة الواضحة «نطقت» بمعنى دَلّت، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية، ونحو: ﴿يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الروم، ٥٠] يقدَّرُ تشبيهُ تزيينها بالنباتِ ذي الخضرة والنضرة بالإحياء، بجامع الحُسْن أو النَّفع في كلٍّ، ويُستعار الإحياءُ للتزيين، ويُشتق من الإحياء بمعنى التزيين «يحيي» بمعنى «يزين»، استعارةٌ تبعيةٌ لجريانها في الفعل تَبَعاً لجريانها في المصدر. هذا إذا كانتِ استعارةً في الفعل باعتبار مَدلولِ صيغته، أي مادته وهو الحدث.

وأما إذا كانتْ باعتبارِ مدلولِ هيئته وهو الزمن كما في قوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ١]، فتقريرُها أن يقال: شُبِّه الإتيانُ في المستقبل بالإتيان في الماضي، بجامع تحقُّق =

نامت هممي عنّي. ونحو: صَهٍ، الموضوع للسُّكوت عن الكلام،

= الوقوع في كلٍّ، واستُعير الإتيانُ في الماضي للإتيانِ في المستقبل، واشتُقَّ منه «أتى» بمعنى يأتي، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية . ونحو: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٤٤]، أي ينادي . شُبه النداءُ في المستقبل بالنداء في الماضي، بجامع تحقُّقِ الوقوعِ في كلٍّ، استُعير لفظُ النداء في الماضي للنداء في المستقبل . ثم اشتُقَّ منه «نادى» بمعنى «ينادي» . ونحو قوله تعالى: ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ هَٰذَا﴾ [يس: ٥٢]، إنْ قُدِّر المرقدُ مستعاراً للموت، فالاستعارة أصلية . وإنْ قُدِّرَ لمكانِ الرقادِ مُستعاراً للقبر، فالاستعارة تبعية، لأنها في اسم المكان . فلا يُستعار المرقَدُ للقبر إلا بعدَ استعارةِ الرقادِ للموت .

ومثالُ الاستعارة في اسم الفاعل: «لزيدٌ قاتلٌ عَمراً» إذا كان عمرٌو مضروباً ضرباً شديداً .

ومثالها في اسم المفعول: «عمرٌو مقتولٌ لزيدٍ» إذا كان زيدٌ ضارباً لعمرٍو ضرباً شديداً .

وإجراءُ الاستعارة فيهما أن يقالَ: شُبِّه الضربُ الشديدُ بالقتل بجامع شدّة الإيذاءِ في كلٍّ، واستُعير اسمُ المشبهِ بهِ للمشبه، واشتُقَّ من القتل بمعنى الضربِ الشديدِ قاتلٌ أو مقتول، بمعنى ضاربٍ أو مضروبٍ، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية .

ومثالها في الصفة المشبهة: هذا حسَنُ الوجه . مشيراً إلى قَبيحه . وإجراء الاستعارة فيه أن يقال: شُبِّه القبحُ بالحسن بجامعِ تأثُّرِ النفسِ في كلٍّ . واستُعير الحُسْنُ للقُبْح تقديراً، واشتُقَّ من الحسن بمعنى القُبْح حسَنٌ بمعنى قبيح، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية التهكُّمية .

ومثال الاستعارة في أفعل التفضيل: هذا أقتل لعبيده من زيد، أي أشدُّ ضرباً لهم منه .

ومثال اسم الزمان والمكان: هذا مقتل زيد، مشيراً إلى مكان ضربه أو زمانه .

ومثال اسم الآلة: هذا مفتاحُ المُلك، مشيراً إلى وزيره، وإجراؤها أن يقالَ: شُبهت الوزارة بالفتح للأبوابِ المغلقة، بجامع التوسُّل إلى المقصودِ في كلٍّ، واستُعير الفتحُ للوزارة، واشتقَّ منه مفتاح بمعنى وزير .

ومثال اسم الفعل المشتق: نزالِ بمعنى انزل، تريدُ به أَبْعِدْ . فتقولُ: شُبه معنى البعد بمعنى النزول، بجامع مطلق المفارقة في كلٍّ، واستُعيرَ لفظ النزول لمعنى البعد، واشتُقَّ منه نَزالِ بمعنى أبعد .

ومثال اسم الفعل غير المشتق «صَهٍ» بمعنى اسكت عن الكلام . تريد به اترك فعل كذا، فتقول: شُبِّهَ تركُ الفعل بمعنى السكوت، واستعيرَ لفظ السكوت لمعنى تركِ الفعل، واشتقّ منه اسكتْ بمعنى اتركِ الفعلَ . وعُبِّر بدلُ اسكتْ بصهٍ .

ومثالُ المصغَّر «رُجَيْل» لِمُتعاطي ما لا يليقُ، ومثالُ المنسوب «قرشي» للمتخلِّق بأخلاقِ قريش وليس منهم .

ومثالُ الاستعارةِ في الحرف قوله تعالى: ﴿فَٱلۡتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرۡعَوۡنَ لِيَكُونَ لَهُمۡ عَدُوّٗا وَحَزَنًا﴾ [القصص: ٨]، وإجراؤها أن يقالَ: شُبِّهت المحبةُ والتبنِّي بالعداوة والحزن اللذين هما العلة الغائيةُ للالتقاطِ بجامع مطلقِ الترتيب، واستُعيرت اللامُ من المشبّه به للمشبه على طريق الاستعارة التصريحية التبعية . واعلمْ أن اللام لم تُستعمل في معناها الأصلي وهو العِلّة، لأنّ علّة التقاطِهم له أن يكونَ لهم ابناً، وإنّما استُعملتْ مجازاً لعاقبةِ الالتقاطِ، ثم=

والمستعمل مجازاً في تركِ الفعل، ونحو: الجُنديُّ قاتلُ اللصّ، بمعنى ضاربُه ضرباً شديداً، ونحو: هذا، الموضوعةُ للإشارةِ الحسيّة، والمستعملة مجازاً في الإشارة العقليةِ، نحو: هذا رأيٌ حسنٌ، ونحو قوله تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾(١)، ونحو قوله تعالى: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾(٢).

٣ - وإذا كان اللفظُ المستعارُ اسماً مشتقاً أو اسماً مُبهماً دون باقي أنواع التَّبعية المتقدّمة فالاستعارة «تبعيّة مكنية».

وسُمِّيت تبعيةً لأنّ جرَيانها في المشتقاتِ، والحروف، تابعٌ لجريانها أوّلاً

= استُعيرتِ اللامُ تبعاً لاستعارتها . فالمستعارُ منه العلةُ، والمستعارُ له العاقبة . والترتُّبُ على الالتقاط هو الجامع، والقرينةُ على المجاز استحالةُ التقاطِ الطفل ليكونَ عدوّاً . وكقوله تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه: ٧١]، وإجراؤها أنْ يقالَ: شُبه مطلقُ استعلاءٍ بمطلق ظرفيةٍ بجامع التمكّن في كلٍّ . فسرى التشبيه من الكليّين للجزئيات التي هي معاني الحروف فاستُعيرَ لفظُ «في» الموضوعُ لكلِّ جزئيٍّ من جزئيات الظرفية، لمعنى «على» على سَبيل الاستعارةِ التصريحية التبعية.

ومثالُ المكنية التبعية في الاسم المشتقِّ: يُعجِبُني إراقةُ الضارب دمَ الباغي . وإجراء الاستعارة أن يقالَ: شُبه الضربُ الشديدُ بالقتل بجامع الإيذاء في كلٍّ، واستُعير القتلُ للضربِ الشديد، واشتقَّ من القتل «قاتل» بمعنى ضاربٌ ضرباً شديداً، ثم حُذفَ وأثبتَ له شيءٌ من لوازمه، وهو الإراقةُ على سبيل الاستعارة المكنية التبعية .

ومثالها في الاسم المبهم قولُك لجليسك المشغول عنك: أنتَ مطلوبٌ منك أن تسيرَ إلينا الآن. شُبِّه مطلقُ مخاطبٍ بمطلقِ غائبٍ فسرى التشبيهُ للجزئيات واستُعيرَ الثاني للأول، ثم استُعيرَ بناءً على ذلك ضميرُ الغائبِ للمخاطب، وحُذف وذُكر المخاطَبُ، ورُمزَ إلى المحذوفِ بذكرِ لازمِهِ، وهو طلبُ السير منه إليك، وإثباته له تخييل.

واعلمْ أنّ استعارةَ الأسماء المبهمة - أعني الضمائرَ وأسماءَ الإشارة والموصولات - تبعيةٌ، لأنها ليستْ باسم جنس لا تحقيقاً ولا تأويلاً، ولأنّها لا تستقلُّ بالمفهومية، لأنّ معانيَها لا تتِمُّ ولا تَصلحُ لأن يُحكم عليها بشيءٍ ما لم تَصحب تلك الألفاظَ في الدّلالة عليها ضَميمةٌ تتمُّ بها، كالإشارة الحسيّة، والصِّلة، والمرجع . فلا بدَّ أن تَعتبرِ التشبيهَ أولاً في كلياتِ تلك المعاني الجزئية، ثم سريانَه فيها لتبنيَ عليه الاستعارة، مثلاً في استعارة لفظ «هذا» لأمرٍ معقولٍ يُشبَّه المعقولُ المطلقُ في قبولِ التمييز بالمحسوسِ المطلق فيسري التشبيهُ إلى الجزئيات فيستعارُ لفظُ «هذا» من المحسوس الجزئيِّ للمعقول الجزئيِّ الذي سَرى إليه التشبيهُ . فهي استعارة تبعية . والاستعارةُ في الضميرِ والموصولِ المؤنث أو بموصولها عنه لشبهه بها، أو عكسه . فتشبِّه المذكرَ المطلقَ بالمؤنث، كالتعبير عن المذكرِ بضميرِ المطلق، فيسري التشبيهُ، فتستعيرُ الضميرَ، أو الموصولَ للجزءِ الخاصّ .

(١) سورة طه، الآية ٧١ .

(٢) سورة القصص، الآية ٨ .

في الجوامد، وفي كليات معاني الحروف. يعني أنّها سُمِّيَتْ تبعيةً لتبعيَّتها لاستعارة أخرى، لأنها في المشتقات تابعةٌ للمصادر.

ولأنّها في معاني الحروف تابعةٌ لِمُتعلَّقِ معانيها، إذْ معاني الحروفِ جزئيةٌ لا تُتَصَوَّرُ الاستعارةُ فيها إلا بواسطةِ كليّ مستقِلٍّ بالمفهومية، ليتأتّى كونُها مُشبَّهاً، ومشبَّهاً بها، أو محكوماً عليها، أو بها. نحو: ركِبَ فلانٌ كَتِفَيْ غَريمِه[١]، أي لازمَه ملازَمة شديدة. وكقوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾[٢] أي تمكّنوا منَ الحصول على الهداية التامة[٣]، ونحو: أذَقْتُه لِباسَ الموت»[٤]، أي ألبستُه إيّاه.

تنبيهات عشرة

التنبيه الأول: كلُّ تبعيةٍ قرينتُها مكنيّة.

التنبيه الثاني: إذا أُجريتِ الاستعارةُ في واحدةٍ من الاستعارةِ التصريحيّة، أو منَ الاستعارة المكنيّة، امتنع إجراؤها في الأخرى.

التنبيه الثالث: تقسيمُ الاستعارة إلى «أصلية وتبعية» عامٌّ في كلٍّ من الاستعارة التصريحية والمكنية.

التنبيه الرابع: تبيَّنَ أنّ الاستعارةَ هي اللفظُ المستعملُ في غيرِ ما وُضعَ له، لعلاقةِ المشابهةِ، مع قرينةٍ مانعةٍ من إرادةِ المعنى الوضعي[٥]. أو هي مجازٌ لغويٌّ علاقتُه المشابهة، كقول زهير:

---

(١) يقال في إجرائها: شُبِّه اللزومُ الشديدُ بالركوبِ بجامع السلطةِ والقهر. واستعيرَ لفظُ المشبه به وهو الركوبُ للمشبَّه وهو اللزومُ، ثم اشتقَّ من الركوبِ بمعنى اللزوم «ركب» بمعنى لزم، على طريق الاستعارة التصريحية التبعيّة.

(٢) سورة البقرة، الآية ٥.

(٣) يقال في إجرائها: شُبِّهَ مطلقُ ارتباطِ بين مَهدي وهُدى بمطلقِ ارتباطِ بينَ مستعلٍ ومُستعلى عليه بجامع التمكُّن في كلٍّ. سرى التشبيه منَ الكليّين للجزئياتِ، ثم استعيرتْ «على» من جُزئيٍّ من جزئياتِ المشبه به لجزئيّ من جزئياتِ المشبه على طريق الاستعارة التصريحية التبعية.

(٤) يقال في إجرائها: شُبهت الإذاقة بالإلباس، واستُعيرَ الإلباسُ للإذاقة بجامع الاشتمال في كلّ، واشتُقَّ منه ألبس بمعنى أذاق، على طريقِ الاستعارة التصريحية التبعية، ثم حُذف لفظ المشبه به، ورُمزَ إليه بشيء من لوازمه، وهو اللباسُ على طريق الاستعارة المكنية.

(٥) قد يراد بالاستعارة المعنى المصدري، أي استعمالُ اللفظِ في غيرِ ما وضع له، فيكونُ =

لَدى أسَدٍ شاكي السِّلاحِ مُقَذَّفٍ[١] لـهُ لِبَـدٌ[٢] أظـفـارُه لـم تُـقَـلَّـمِ

فقد استعارَ الأسدَ للرجل الشجاع لتَشابُههما في الجَراءة. والمستعار له هنا: لفظُ رجل مُحقَّقٌ حسّاً.

وكقوله تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾[٣]، فقد استعارَ الصِّراطَ المستقيمَ للدِّينِ الحقِّ، لتشابُهِهما في أنَّ كلاً يُوصِّل إلى المطلوب.

وكقوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾[٤] أي من الضّلالِ إلى الهُدى، فقد استُعيرَ لفظُ الظلماتِ للضّلال لتشابُهِهما في عدم اهتداءِ صاحِبَيْهما، وكذلك استُعيرَ لفظُ النُّور للإيمان لتشابههما في الهدايةَ. والمستعارُ له وهو الضّلالُ والإيمانُ، كلٌّ منهما (مُحقَّقٌ عقلاً). وتُسمَّى هذه الاستعاراتُ تصريحيّةً وتسمّى تحقيقية. وأما قول أبي ذؤيب الهُذلي:

وإذا المـنـيّـةُ أنـشـبَـتْ أظـفـارَهـا ألْـفَـيْـتَ كـلَّ تَـمـيـمـةٍ لا تَـنـفـعُ

فشبّه المنيّةَ بالسَّبُع في اغتيالِ النفوس قَهْراً من غيرِ تفرقةٍ بين نَفّاع وضرّار، ولم يَذكر لفظَ المشبه به، بل ذكرَ بعضَ لوازِمهِ وهو أظفارُها التي لاَ يكمل الاغتيالُ في السَّبُع إلا بها، تنبيهاً على المشبه به المحذوف. فهو استعارة مكنية. وكقوله:

ولئنْ نطقتُ بشُكرِ بِرِّكَ مُفصحاً فلسانُ حالي بالشِّكايةِ أنطَقُ

فشبّه الحالَ بإنسانٍ ناطقٍ في الدَّلالةِ على المقصود، ولم يصرِّحْ بلفظِ المشبه به، بل ذكرَ لازمه، وهو (اللسان) الذي لا تقوم الدلالة الكلامية إلا به، تنبيهاً به عليه. فهو أيضاً استعارة مَكْنيّة. وقد أثبتَ للمشبَّه لازمٌ من لوازم المشبه به، لا يكونُ إلا به كمالُه أو قوامُه في وجه الشبه، كالأظفار التي لاَ يكمُلُ الافتراسُ إلا بها، كما في المثال الأول، واللسانِ الذي لا تقومُ الدلالة الكلاميةُ في الإنسان إلا به، كما في المثال الثاني. وليس للمنيةِ شيءٌ

= اللفظُ مستعاراً، والمشبّهُ به مستعاراً منه، والمشبه مستعاراً له .

(١) كثير اللحم .

(٢) كثيرُ الشَّعر .

(٣) سورة الفاتحة، الآية ٦ ..

(٤) سورة إبراهيم، الآية ١ .

كالأظفارِ نُقلَ إليه هذا اللفظُ، ولا للحالِ شيءٌ كاللسانِ نُقلَ إليه لفظُ اللسان. وما كان هذا حالَهُ يُعتبرُ طبعاً تخييلاً أو استعارة تخييلية.

التنبيه الخامس: تقدَّمَ أنّ الاستعارةَ التصريحيّةَ، أو المُصرحة هي ما صُرِّحَ فيها بلفظِ المشبه به. وأنّ المكنيّةَ، هي ما حُذف فيها لفظُ المشبه به، استغناءً ببعض لوازمه التي بها كمالُه، أو قَوامُه في وجه الشبه[١]. وأنّ إثباتَ ذلك اللازم تخييلٌ، أو استعارة تخييلية. غير أنهم اختلفوا في تعريف كلٍّ من المكنية والتخييليّة.

فمذهب السَّلف أنّ المكنيَّة اسمُ المشبهِ به، المُستعارُ في النَّفس للمشبه، وأنّ إثباتَ لازمِ المشبه به للمشبه استعارةٌ تخييلية[٢]. فكلٌّ من (الأظفار) في قوله: «وإذا المَنيَّةُ أنشبت أظفارها»، و(اللسان) في قوله: «فلسانُ حالي بالشِّكايةِ أنطَقُ» حقيقةٌ لأنه مُستعملٌ فيما وُضعَ له.

ومذهبُ الخطيبِ القَزْويني أن المكنيةَ هي التشبيهُ المُضْمر في النفس، المرموزُ إليه بإثباتِ لازمِ المشبه به للمشبه، وهذا الإثباتُ هو الاستعارةُ التخييلية[٣].

---

(١) إذا لم يكن اللازم كذلك اعتبرَ ترشيحاً. فالفرقُ بينَ التَرشيح والتخييل:
(أ) أن الترشيحَ يكون في المصرحة والمكنية، والتخييلَ إنما يكونُ في المكنية.
(ب) أن التخييلَ به كمالُ المشبه به، أو قوامُه في وجه الشبه، ولا يكونُ إلا كذلك.

(٢) وعلى مذهبهم لا تكون التخييليةُ مجازاً لغوياً لأنها فعلٌ من أفعالِ النفس، وهو الإثباتُ، والمجازُ اللغويُّ من عوارضِ الألفاظ. وعلى مذهبهم أيضاً تتلازمُ المكنيةُ والتخييليةُ، إلا أنّ أحدَهم وهو الزّمخشري انفردَ من بينهم بأنْ قال: إنّ قرينة المكنية قد تكون تحقيقيةً إذا كانَ للمشبه لازمٌ يشبهُ لازمَ المشبه به، نحو: ﴿يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ﴾[البقرة، ٢٧]، فقد شبهَ العهدَ بالحبل بجامع أنّ كلاً يصلُ بين شيئين ويربطُهما، فالعهد يربط المتعاهدين كما يُربَطُ الشيئان بالحبل. ثم حُذف لفظُ المشبه به، وهو الحبل، واستُعيرَ النقضُ وهو فكُّ طاقاتِ الحبل لإبطال العهد بجامع الإفساد في كلٍّ استعارة أصلية تحقيقية. ثم اشتقّ من النقضِ «ينقضون» بمعنى يُبطلون، على سبيل الاستعارة التحقيقيةِ التبعية. فالزمخشري يجمعُ بين المكنية والتحقيقية أحياناً. على أن التحقيقيّة ليست مقصودةً لذاتها، وإنما جاءتْ تبعاً للمكنية للدلالة عليها، فلا تلازُمَ عنده بين المكنية والتخييلية، إلا أنْ يدَّعيَ أن القرينةَ تصريحية باعتبارِ المعنى المقصود في الحالة الراهنة تخييلية باعتبارِ الإشعار بالأصل. أما غيرُه من السلف فيقول: شُبِّه العهدُ بالحبل، وحُذف لفظُ الحبل، ورُمز إليه بلازمِهِ، وهو النقضُ، وإثبات النقضِ للعهد تخييل.

(٣) من هذا التعريف نفهمُ أولاً أنّ القزوينيَّ يخالف السَّلف في تعريفِ المكنية، ويتفقُ معهم=

ومذهبُ السكاكي أنّ المكنيةَ لفظُ المشبه، مراداً به المشبه به[١]. فالمرادُ بالمنيّة في قوله: «وإذا المنيّةُ أنشبتْ أظفارَها» هو السَّبع بادّعاء السبعية لها. وإنكارُ أنْ تكونَ شيئاً غيرَ السبع، بقرينةِ إضافةِ الأظفارِ التي هي من خواصِّ السبع إليها. والتّخييليّةُ عندَه ما لا تَحقُّقَ لمعناهُ لا حسّاً ولا عقلاً، بل هو صورةٌ وهميّة مَحْضَة، كالأظفارِ في ذلك المثال. فإنّه لَمّا شبّه المنيّة بالسبع في الاغتيال، أخذَ الوهمُ يُصوِّرها بصورته، ويخترعُ لها لوازمَه، فاخترع لها صورةً كصورةِ الأظفارِ، ثم أطلق عليها لفظَ الأظفار. فيكون لفظُ الأظفارِ استعارةً تصريحيةً تخييلية.

أمّا أنها تصريحية فلأنه صُرِّح فيها بلفظ المشبه به، وهو اللازمُ الذي أُطلقَ على صورةٍ وهميّة شبيهةٍ بصورةِ الأظفارِ المحقَّقة.

وأما أنها تخييلية فلأنّ المستعارَ له غيرُ محقق لا حِسّاً ولا عقلاً. والقرينةُ على نقلِ الأظفار من معناها الحقيقي إلى المعنى المتخيَّل، إضافتها إلى المنيّة[٢].

هذا، ومذهبُ السكاكي في المكنية مردودٌ عليه بأنّ لفظَ المشبه فيها

= في قرينتها . ونفهم ثانياً أنّ المكنيةَ والتخييلية عند القزويني فعلان من أفعال النفس هما التشبيهُ والإثباتُ . فليسا من المجاز اللغوي، لأنه من عوارض الألفاظ . وتكونُ التخييليةُ عند القزويني والقوم مجازاً عقلياً، لما فيها من إثباتِ الشيءِ لغيرِ ما هو له، وإنما سَمّوها استعارةً لِما فيها من نقلِ اللازم من ملائمِهِ الأصلي، وهو المشبه به إلى المشبه . وسَمّوها تخييليةً لأنّ اللازم لَمّا نُقل من المشبه به إلى المشبه صارَ السامعُ يخيلُ إليه أن المشبّه من جنس المشبه به . ونفهم ثالثاً أن لفظ اللازم في المكنية حقيقة عند القزويني .

(١) تقرير الاستعارة على مذهب السكّاكي أنْ يقال: شبّهنا المنيّةَ التي هيَ الموتُ المجرّدُ عن ادّعاء السَّبعية، بالسَّبُع الحقيقي، وادّعينا أنها فردٌ من أفراده، وأنّ للسبع فردين، فرداً متعارفاً وهو الحيوانُ المفترس، وفرداً غيرَ متعارفٍ وهو الموتُ الذي ادُّعيتْ له السبعيّة، واستُعير اسمُ المشبه وهو المنيةُ بمعنى ذلك الفرد غيرِ المتعارف، أعني الموتَ الذي ادُّعيتْ له السبعية . فصحّ بهذا أنّه قد أطلقَ اسمُ المشبه، وهو المنيّة، وأُريدَ به المشبه به، وهو السَّبُع .

(٢) يرى السكاكي أن التخييليّة توجَدُ من غير المكنية كقولهم: أظفارُ المنيةِ التي كالسبع نَشِبتْ بفلان . ففي أظفارِ استعارةٌ تخييلية وُجدت مع تشبيهٍ صريح، ولكنّ هذا بعيدٌ إذ لم يوجَدْ نظير في الكلام العربي . فالفرقُ بين السكاكي وغيره أن السكاكي يرى أنّ كلّ مكنيةٍ معها تخييليةٌ ولا عكس، وغيره إلا الزمخشري يقول: إنهما متلازمان .

مستعمَلٌ فيما وُضع له تحقيقاً، للقطعِ بأنّ المرادَ بالمنيّة «الموت» لا غير، فليس مُستعاراً.

التنبيه السادس: الاستعارةُ صفةٌ للَّفظِ على المشهور. والحقُّ أنّ المعنى يُعارُ أولاً، ثم يكونُ اللفظُ دليلاً على الاستعارة. وذلك:

١ - لأنه إذا لم يكن نقلُ الاسم تابعاً لنقلِ المعنى تقديراً لم يكُنْ ذلك استعارةً، مثل «الأعلام المنقولة». فأنتَ إذا سَمَّيتَ إنساناً بأسدٍ، أو نمرٍ، أو كلب، لا يقال: إن هذهِ الأسماءَ مُستعارةٌ، لأنّ نقلَها لم يتبعْ نقلَ معانيها تقديراً.

٢ - ولأنّ البُلغاء: جَزموا بأن الاستعارة أبلغُ من الحقيقة. فإن لم يكن نَقْلُ الاسم تابعاً لنقل المعنى لم يكن فيه مُبالغة، إذ لا مبالغةَ في إطلاقِ الاسمِ المجرَّد عن معناه.

التنبيه السابع: ظهرَ أنّ الاستعارةَ باعتبار اللفظِ نوعانِ: أصلية وتبعيّة.

فالأصلية: ما كانَ فيها المستعارُ اسمَ جنس غيرَ مشتقٍّ، سواء أكان اسم ذاتٍ، كأسد للرجل الشجاع، أم اسمَ معنًى، كقتلَ للإذلال، وسواءٌ أكان اسمَ جنسٍ حقيقةً كأسد وقتل، أم تأويلاً، كما في الأعلام المشهورة بنوعٍ من الوصف، كحاتم في قولك: رأيتُ اليوم حاتماً. تُريدُ رجلاً كاملَ الجُود. فاعتُبر لفظُ حاتم في قوّة الموضوع لمفهوم كليّ، حتى كاد يغلبُ استعمالُه في كلِّ مَن له وصفُ حاتم، فكما أنّ أسداً يتناولُ الحيوانَ المفترسَ والرجل الشجاع ادّعاء، كذلك حاتمٌ يتناولُ الطائيَّ وغيرَه ادّعاءً. ويكونُ استعمالُه في الطائيّ حقيقةً، وفي غيره مجازاً، لأن الاستعارةَ مبنيّة على ادّعاء أنّ المشبهَ فردٌ من أفراد المشبه به. فلا بدّ أن يكونَ المشبه به كليّاً ذا أفرادٍ. والمراد باسم الجنسِ غيرِ المشتقّ: ما صلحَ لأنْ يَصدقَ على كثيرين من غير اعتبارِ وصفٍ من الأوصاف في الدلالة.

وليس العلمُ الشخصيُّ واسمُ الإشارة والضمير والموصول من الكليات، فلا يصحُّ أن تجريَ فيها الاستعارةُ الأصلية. أمّا المشتقُّ فالصفةُ جزءٌ من مدلوله وضعاً، لأنه موضوعٌ لذاتٍ متصفةٍ بصفةٍ. فـ «كريمٌ» موضوعٌ لذاتٍ متصفةٍ بالكرم، و«قتيل» موضوعٌ لذاتٍ متصفةٍ بوقوع القتل عليها.

وقد اعتُبرتِ الأعلامُ التي تتضمّنُ معنى الوصفِ اسمَ جنسٍ تأويلاً. ولم تُعتبر من قبيلِ المشتقّ، لأن الوصفَ ليس جُزءاً من معناها وضعاً، بل هو لازمٌ له، غيرُ داخلٍ في مفهومهِ، فحاتمٌ لم يوضَعْ للدَّلالة على الجودِ ولا على ذاتٍ مُتَّصفةٍ به، ولكنّ الجودَ عَرَض له، ولزمه فيما بعد.

التنبيه الثامن: التّبعيّة[١] ما كان فيها المستعارُ مشتقاً. ويدخلُ في هذا: الفعلُ، والاسمُ المشتقُّ، والحرف.

فاستعارةُ الفعل[٢] نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾﴾[٣]. ونحو قوله تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا﴾[٤]. ونحو قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾﴾[٥].

- يقال: شُبِّه زيادةُ الماءِ زيادةً مُفسدةً بالطُّغيان بجامعِ مجاوزةِ الحدِّ في

---

(١) كذلك يدخلُ فيه الاسمُ المبهم، فقد جعلَ بعضُهم استعارةَ الإشارة والضميرِ والموصولِ من التبعية، لأن كلاً من هذه المبهمات ليس من اسم الجنسِ لا تحقيقاً ولا تأويلاً، إذ إنّ معانِيَها جزئية . والأصليةُ مختصّةٌ باسم الجنسَ . فإذا قلتَ: هذا رأيٌ حسَنٌ، فقد استعرتَ اسم الإشارة من المحسوسِ للمعقول . ويقال: شبه المعقول مطلقاً بالمحسوس مطلقاً في قَبول التمييز والتعبير . فسَرى التشبيه من الكليات إلى الجزئيات، فاستُعيرَ لفظُ (هذا) من جزئيِّ المشبّه به لجزئيِّ المشبه استعارةً تبعيّة لقصد المبالغة في بيان تعيين المعقول . وإذا قلتَ لنسوةٍ: إنّي منتظرُكم، فقد شبّهتَ مطلقَ مخاطبةٍ فيها عظمة، بمطلق مخاطب فيه عظمة، بجامع العظمة في كُلٍّ . فسَرى التشبيهُ من الكليين إلى الجزئيات . فاستُعيرَ ضميرُ جماعةِ الذكورِ من جزئيِّ المشبه به لجزئيِّ المشبه استعارةً تبعية . وكذا إذا استعملت في المؤنث ما وُضع من أسماء الموصول في المذكر .
وإذا عاد الضميرُ أو اسمُ الإشارة على مجاز، نحو: زارني هذا الأسَدُ فأكرمتُه، فليس فيهما تجوُّزٌ بناءً على أنّ وَضْعَهما أن يعودا على ما يرادُ بهما من حقيقةٍ أو مجاز . وقيل: فيهما تجوُّزٌ تبَعاً لما يرجعان إليه ويكونانِ مستعارَيْنِ بناءً على التشبيه والاستعارة في مرجعهما . فيدخلان في التبعية .

(٢) لو دخلتْ «أن» المصدرية على فعل مستعارٍ، نحو: يسوءني أن يَطغى الماءُ على قريتي . فالحقُّ أنها «تبعية»، وأن المستعارَ هو الفعلُ وحدَه وهو الذي حَلَّ محلَّ يكثرُ أو يَغلو، والعبرةُ باللفظ . والمصدرُ غيرُ ملفوظٍ به . و«إنْ» إنما هي آلةٌ في السبك أتيَ بها لغرض هو تأويلُ مدخولها بمصدرٍ . فإذا أُدّيَ بها هذا الغرضُ طُرحت كما تُطرح الآلةُ إثرَ إتمامِ العمل الذي يؤدّى بها . وقال بعضُهم: إنها أصليّة نظراً للمصدر المؤول .

(٣) سورة الحاقة، الآية ١١ .

(٤) سورة الأعراف، الآية ١٦٨ .

(٥) سورة الانشقاق، الآية ٢٤ .

كلٌ، وادُّعيَ أنّ المشبهَ فردٌ من أفراد المشبه به. ثم استعيرَ المشبهُ بهِ للمشبه على سبيلِ الاستعارة التصريحيّة الأصلية، ثم اشتقَّ من الطغيان بمعنى الزيادة «طغى» بمعنى زاد وعلا، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية.

هذا، وقد يستعملُ لفظُ الماضي موضعَ المضارع، بناءً على تشبيهِ المستقبل المحقَّق بالماضي الواقع بجامع تحقُّق الوقوع في كلٍّ. ونحو قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا﴾[١].

وقد يُعبَّرُ بالمضارع عن الماضي بناءً على تشبيهِ غير الحاضر بالحاضر في استحضارِ الصور الماضية لنوعِ غرابةٍ فيها. نحو قوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ﴾[٢].

التنبيه التاسع: استعارةُ المشتق إمّا صِفَةٌ[٣]، وإما اسمُ زمان، أو مكان، أو آلة. فالصِّفةُ نحو: حُكِمَ على قاتلكَ بالسَّجْن. من القتلِ بمعنى الضَّرب الشديد، مَجازاً. ونحو: إنما أُصادقُ الأصمَّ عن الخنى، وأُجاورُ الأعمى عن العوراتِ. ونحو:

فلسانُ حالي بالشكايةِ أنطَقُ

أي: أدَلُّ، ونحو قوله تعالى: ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَٰذَا﴾[٤] ونحو: جئتَ بمقْتالِكَ[٥]، أي: بالآلة التي أضربُك بها ضرباً شديداً.

---

(١) سورة فصلت، الآية ٢١ .

(٢) سورة الصافات، الآية ١٠٢ .

(٣) يراد بالصفة: اسمُ الفاعل واسمُ المفعول والصفةُ المشبهة واسمُ التفضيل ويلحق بها المصغَّرُ والمنسوبُ كرُجَيْل إذا أريدَ به رجلٌ كبير يَتعاطى ما لا يليقُ به . وكقرشيّ لمصري يتخلّق بأخلاق القرشيين . فإن استعارتَهما تابعةٌ لاستعارةِ مصدرين لمشتقّين، يؤدي هذان اللفظان معناهما وهما صغير ومنتسب إلى قريش . شبه فعل ما لا يليقُ بالصغر بجامع أنّ كلاً منهما يُسقط الهيبة، واستُعيرَ لفظُ الصغر لفعل ما لا يليقُ ثم اشتقَّ منه صغيرٌ بمعنى فاعل ما لا يليق . ثم عُبر عن فاعلِ ما لا يليقُ بلفظ رُجَيْل، أو شبه رجيل، أو شبه مُطلقِ فعلِ ما لا يليقُ بمطلق الصِّغر، فسَرى التشبيهُ إلى فردي المشبه والمشبَّه به، وهما فاعلُ ما لا يَليقُ ورجيل، ثم استعيرَ بناءً على التشبيه الحاصل بالسَّريان رجيلٌ للكبير الذي يَفْعل فعلَ الصغير . وشُبِّه التخلُّقُ بأخلاق قريش بالانتسابِ إليهم، واستعيرَ الانتسابُ للتخلُّق واشتقَّ منه المنتسبُ بمعنى المتخلق بأخلاقهم، ثم عُبِّر عن هذا بلفظٍ يؤديه وهو «قرشيّ» على سبيل الاستعارةِ التصريحية التبعية .

(٤) سورة يس، الآية ٥٢ .

(٥) شُبه الضربُ بالقتل بجامعِ شدّة الإيذاء في كلٍّ . ثم استُعيرَ للضربِ الشديدِ على سبيل =

التنبيه العاشر: مدارُ قَرينةِ التَّبعية في الفعل والمشتقّ على ما يأتي:

١ - على الفاعل: نحو: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ﴾[١] ونطقتِ الحالُ بكذا[٢].

٢ - أو على نائبه: نحو: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ﴾[٣][٤].

٣ - أو على المفعول به، نحو:

جُمِعَ الحقُّ لنا في إمامٍ قَتَلَ البُخلَ وأحْيا السَّماحا[٥]

٤ - أو على المفعول به الثاني، نحو:

سَبَحْنا الخزرجيَّةَ مُرْهفاتٍ أبادَ ذَوي أُرومَتِها ذَوُوها[٦]

٥ - أو على الفاعل والمفعولين، كقول الشاعر:

تُقْري الرِّياحُ رياضَ الحَزْنِ مُزهرةً إذا سرى النومُ في الأجفان إيقاظا[٧]

= الاستعارة التصريحية الأصلية، ثم اشتقّ منه «مقتال» بمعنى آلة الضرب على سبيل الاستعارة التبعية. وشبه الإعراضُ عن سوءِ القول وعدم سمعهِ بالصَّمم بجامع عدم تأثُّر النفس بالقول في كلّ. وكذلك شُبه الإغضاء عن العورات بالعَمى بجامع عدم تأثُّر النفس بالمرئيّ في كلّ.

(١) سورة الحاقة، الآية ١١.

(٢) لأن كلاً من الطغيانِ والنطق من شأن الإنسان.

(٣) لأن الضرب من شأن الخيام، لا من شأنِ الذلة التي هي أمرٌ معنوي.

(٤) سورة البقرة، الآية ٦١.

(٥) لأن القتل والإحياء لا يقعان إلا على ذي روح، والبخلَ والسماحَ معنويان لا روح فيها. فدلّ هذا على أن المرادَ بالقتل الإزالة، وبالإحياء الإكثار. شبهَ الإزالةَ بالقتل بجامعِ ما يترتبُ على كلٍّ من العدمِ والإكثار بالإحياء بجامع إظهار المتعلّق في كلٍّ.

(٦) القرينةُ تعلُّقُ الفعل «صبَّح» بمرهفاتٍ وهي مفعولٌ به ثانٍ. يقال: صَبحه كقطع: سقاهُ الصَّبوحَ، وهو شراب الغداة. ومرهفاتٍ، أي: سيوفاً مرهفات، يقال: أرهف السيفَ إذا حدّده ورقَّقه. وأباده: أهلكه. والأرومة: الأصل. والضميرُ في أرومتها للخزرجيّة. وفي «ذووها» للمرهفات. يقول: أبَدْنا أصولَ هذه القبيلة بسيوفنا المرهفات. ونزّلَ التضادَّ منزلةَ التناسب، فشبّه الإساءةَ إلى الخزرجيّة صباحاً بالإحسان إليهم، وتقديم الصبوح لهم، بجامع إدخال السرور على النفس في كلٍّ، وإنْ كان ادّعائياً في المشبه. ثم استعار لفظ المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية العنادية التهكمية. ثم اشتقّ من الصبوح بمعنى الضرب بالمرهفات «صبَّح» بمعنى ضَرب بها على سبيل الاستعارة التبعية.

(٧) الجفن: غطاءُ العين وغلافُ السيف. استُعير لأكمام الزهر بجامع التغطية في كلٍّ، وكنى بسَريان النوم فيها عن ذبولها، وإيقاظ مصدر «أيقظ» مصدرٌ مستعارٌ لتفتيحِ الزهر وإيجاد =

٦ - أو على المفعولين، كقوله تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا﴾[١].

٧ - أو على المجرور، نحو: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[٢][٣] ونحو: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾[٤] ونحو ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ﴾[٥]. هذا، وقد تكون قرينةُ التبعية غيرَ ذلك، نحو: ﴿قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾[٦][٧] إذِ القرينةُ في هذه الآية كونُه من كلام الموتى، مع قوله: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾[٨].

التنبيه العاشر: استعارةُ الحرف[٩] نحو: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾[١٠] فقد شُبِّه مطلقُ ترتُّبِ عِلَّةٍ واقعية على فعل[١١] بمُطلَق

= النُّضرة والبهجة فيه . وقد حسّن التعبيرَ بالإيقاظ مجيئُه بعد النوم والأجفان . والمعنى: تهبُّ الرياحُ على بساتينِ الحزن فتكسوها تفتيحاً وحسناً ونضارة .

(١) سورة الأعراف، الآية ١٦٨ .

(٢) قوله: ﴿بِعَذَابٍ﴾ قرينةٌ على أنّ «بَشِّرْ» مستعارٌ . لأن التبشيرَ بما يسُرُّ فلا يناسبُ تعلُّقه بالعذاب . وقوله: ﴿بِمَا تُؤْمَرُ﴾ كذلك لأنه معنوي . والصَّدْعُ للمحسوس . كما أنّ الحق معنويّ أيضاً . فكلٌّ منها كان صارفاً عن المعنى الأصلي للفعل إلى المعنى المجازي .

(٣) سورة الانشقاق، الآية ٢٤ .

(٤) سورة الحجر، الآية ٩٤ .

(٥) سورة الأنبياء، الآية ١٨ .

(٦) هذا على أنّ «مرقد» اسم مكان، وإلا فالاستعارةُ أصليةٌ كما تقدم .

(٧) سورة يس، الآية ٥٢ .

(٨) سورة يس، الآية ٥٣ .

(٩) إيضاح: مثلُ الابتداء والظرفية والاستعارة معانٍ كلية، يصحُّ أن تكون مستقلة بالفهم، يُحكمُ بها وعليها، وتكون مقصودةً لذاتها . ولكن لابتداءِ المفهومِ مِن لفظ «من» ابتداءٌ مخصوص لم يُقصد لذاته . بل الغرضُ منه الربطُ بين معنيين مستقلينَ بالفهم، هما السيرُ والبصرةُ في قولك: سرتُ من البصرة . ولذا كان جزئياً بالنسبة للابتداء الأول، وما قيلَ في الابتداء يقالُ نظيرُه في الظرفية والعلّة الغائيةِ والاستعلاء، وغيرها من المعاني التي تستفادُ من الحروف نحو: في، واللام، وعلى . فأيُّ معنى يستفادُ من الحرف في جملة ما يُعتبر جزئياً من كليّةٍ غيرُ مقصودٍ لذاته، بل للربط بين معنيين مستقلين . وتعتبرُ الحروفُ حينئذٍ روابطَ بين المعاني المقصودة .

(١٠) سورة القصص، الآية ٨ .

(١١) العداوة والحزن علةٌ واقعية للالتقاط .

ترتُّبِ عِلّة غائيةٍ على فعلٍ[١] بجامع مطلقِ التَّرتبِ في كلٍّ[٢]، فسَرى التشبيهُ من الكليين إلى الجزئياتِ، ثم استُعملَ في جُزئيِّ المشبهِ[٣] اللامُ الموضوعةُ لجزئيِّ المشبه به[٤] على سبيل الاستعارة التبعية، ونحو قوله تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾[٥][٦]، ونحو قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾[٧][٨]. ونحو: زيدٌ في نعمة[٩].

ومن هذه الأمثلة السابقة تتبيَّنُ أنه لا يُشترطُ أن يكونَ للمشبهِ حرفٌ موضوعٌ له يدلُّ عليه.

واختار السّكاكيُّ تقليلاً لأقسام الاستعارةِ أن يُستَغْنى عن التبعيّة في الفعل، والمشتق، والحرفِ بأن يجعلَ قرينةَ التبعية استعارةً مكنية، وأن يجعلَ التبعيةَ قرينةً للمكنية. ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِي ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾﴾[١٠] يجعلُ القومُ الطغيانَ مُستعاراً للكثرة المفسدة.

ويقولُ السكاكي: في لفظِ (الماء) استعارةٌ مكنية، ونسبةُ الطغيان إليه قرينة.

---

(١) العلة الغائية لفعلٍ هي التي تحملُ على تحصيله لتحصلَ بعد حصولهِ كتبنِّي فرعونَ لموسى، ومحبة موسى إياه، لأنّ فرعونَ وآله إنما كفلوهُ بعدَ التقاطهِ لذلك.

(٢) إلا أن الترتبَ في الغائية رجائي أو تقديري، وفي العداوة والحزن واقعي.

(٣) جزئيُّ المشبه هنا هو ترتبُ العداوة والحزن الخاصين المتعلقين بموسى.

(٤) جزئيُّ المشبه به هنا هو ترتبُ علةِ الالتقاط الخاصة، وهو تبنِّي موسى والمحبة، لأنهما متقدمانِ على كفالتهِ بعدَ الالتقاط، ومرتبان عليه في الخارج.

(٥) شبّهَ مطلقُ ارتباطٍ بين مستعلٍ ومستعلى عليه، بمطلقِ ارتباطٍ بين ظرف ومظروف، بجامع التمكُّن، أو مطلقِ الارتباط في كلٍّ. فسرى التشبيهُ من الكليين إلى الجزئيات. فاستعيرَ لفظُ «في» من جزئيات المشبه به لجزئيٍّ من جزئيات المشبه استعارة تبعية.

(٦) سورة طه، الآية ٧١.

(٧) شبّهَ مطلقُ ارتباطٍ بين مَهدي وهُدى، بمطلقِ ارتباطٍ بين مستعلٍ ومُستعلى عليه، بجامع مطلقِ الارتباط في كلٍّ. فسَرى التشبيه من الكليين إلى الجزئيات. فاستعير لفظ «على» من جزئيات المشبه به، لجزئيٍّ المشبه، استعارة تبعية.

(٨) سورة البقرة، الآية ٥.

(٩) شبّهَ مطلقُ ملابسةِ الإنسان للنعمة بمطلقِ ملابسةٍ بين ظرف ومظروف، بجامع مطلقِ الملابسة في كلّ. فسرى التشبيهُ من الكليين إلى الجزئيات، فاستعيرَ لفظُ «في» من جزئيات المشبه به، لجزئيٍّ من جزئيات المشبه استعارة تبعية.

(١٠) سورة الحاقة، الآية ١١.

المبحث الثامن

في تقسيم الاستعارة المصرّحة باعتبار الطرفين

إلى عنادية ووفاقيّة

فالعنادية: هي التي لا يمكنُ اجتماعُ طرفَيها في شيءٍ واحدٍ لِتَنافيهما، كاجتماع النور والظلام.

والوِفاقيّة: هي التي يُمكنُ اجتماعُ طرفيها في شيءٍ واحد لعدم التنافي، كاجتماع النُّور والهُدى.

ومثالُهما قولُه تعالى: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾[1] أي ضالاً فهديناه. ففي الآية استعارتان:

الأولى: في قوله: «ميتاً» شُبِّه الضّلالُ بالموت بجامع ترتُّب نَفْي الانتفاع في كلٍّ، واستُعيرَ الموتُ للضّلال، واشتُقَّ من الموت بمعنى الضّلال مَيْتاً بمعنى ضالاً، وهي عِنادية، لأنه لا يمكنُ اجتماعُ الموتِ والضّلال في شيء واحد.

والثانية: استعارة الإحياء للهداية، وهي وفاقيّة لإمكانِ اجتماعِ الإحياء والهداية في الله تعالى، فهو مُحْيٍ وهادٍ.

ثم العِنادية قد تكونُ تمليحيّةً، أي المقصودُ منها التَّمْليحُ والظَّرافة. وقد تكونُ تَهكُّميّةً، أي المقصودُ منها التهكُّم والاستهزاء بأن يُستعملَ اللفظُ الموضوعُ لمعنًى شريفٍ على ضدِّه أو نقيضِه، نحو: رأيتُ أسداً. تريدُ جباناً، قاصداً التّمليحَ والظّرافةَ، أو التهكُّمَ والسّخرية. وهما اللتان نُزِّلَ فيهما التّضادُّ منزلةَ التّناسُب، نحو: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[2] أي: أنذرهم. فاستُعيرتِ البشارةُ التي هي الخبرُ السارُّ للإنذار الذي هو ضدُّه بإدخالِ الإنذار في جنسِ البشارة، على سبيل التهكُّم والاستهزاء. وكقوله تعالى: ﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾[3].

---

(١) سورة الأنعام، الآية ١٢٢ .

(٢) سورة الانشقاق، الآية ٢٤ .

(٣) سورة الصافات، الآية ٢٣ .

المبحث التاسع

في تقسيم الاستعارة باعتبار الجامع

الاستعارةُ المُصرَّحة باعتبارِ الجامع نوعان[١]:

---

(١) الجامعُ في الاستعارة: بمثابةِ وجهِ الشبه في التشبيه، وهو ما قُصد اشتراك الطرفينِ فيه، وسُمي جامعاً لأنه جمعَ المشبه في أفرادِ المشبه به تحتَ مفهومه وأدخلَهُ في جنسه ادّعاءً. ولا بُدَّ أن يكونَ في المستعارِ منه أقوى، لأن الاستعارةَ مبنيّةٌ على المبالغة في التشبيه، والمبالغةُ فيه توجبُ إبلاغَ المشبهِ لما هو أكمل.

وينقسمُ الجامعُ إلى داخل وخارج. فالأولُ: ما كانَ داخلاً في مفهوم الطرفين، نحو قوله تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا﴾ [الأعراف: ١٦٨]، فاستعيرَ التقطيعُ الموضوعُ لإزالةِ الاتصالِ بينَ الأجسام الملتصق بعضها ببعض لتفريقِ الجماعة وإبعادِ بعضِها عن بعض. والجامعُ إزالة الاجتماع. وهي داخلةٌ في مفهومها. وهي في القطع أشدُّ.

والثاني: وهو ما كان خارجاً عن مفهوم الطرفين، نحو رأيت أسداً. أي رجلاً شجاعاً. فالجامع وهي الشجاعةُ أمرٌ عارضٌ للأسد، لا داخل في مفهومه.

وينقسم الجامعُ أيضاً باعتبارهِ، وباعتبارِ الطرفين، إلى ستةِ أقسام، لأن الطرفين إما حسيان وإما عقليان (أو المستعارُ منه حسيّ والمستعارُ له عقلي أو بالعكس). والجامع في الأول من الصور الأربع تارةً يكون حسياً وتارةً يكون عقلياً وأخرى مختلفاً. وفي الثلاث الأخيرةِ لا يكونُ إلا عقلياً.

مثال ما إذا كان الطرفان حسيين والجامعُ كذلك قولُه تعالى: ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ﴾ [طه: ٨٨]، فإن المستعار منه ولدُ البقرة، والمستعارُ له الحيوانُ المصوغُ من حُليّ القبط بعد سبكها بنارِ السامريّ، وإلقاءِ التُّرابِ المأخوذِ من أثرِ فرسِ جبريل عليه السلام. والجامعُ لهما الشكلُ والخوار، فإنه كان على شكلِ ولدِ البقر، مما يدرك بحاسّة البصر. وبحث بعضُهم بأنّ إبدال «جسداً» من «عجلاً» يمنع الاستعارة.

ومثال ما إذا كان الطرفان حسيين والجامعُ عقلي، قوله تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [يس: ٣٧]، أي نكشفُ ونزيلُ الضوء من مكان الليل، وموضع ظلمته. فإنّ المستعارَ منه أعني السلخَ وهو كشطُ الجلدِ وإزالتُه عن الشاة ونحوها، والمستعارُ إزالةُ الضوء عن مكان الليل وموضع ظلمته، وهما حسيان. والجامعُ لهما ما يعقلُ من ترتُّب أمرٍ على آخرَ بحصولهِ عَقِبَه، كترتبِ ظهورِ اللحم على السلخ والكشط. وترتبُ حصول الظلمة على إزالة ضوء النهار عن مكانِ ظلمة الليل. والترتُّب عقلي، وإجراءُ الاستعارة: شبهَ كشفَ الضوء عن الليل بكشطِ الجلد عن نحوِ الشاة بجامعِ ترتُّبِ ظهورِ شيءٍ على شيء في كلٍّ. واستُعيرَ لفظُ المشبه به وهو «السلخُ» للمشبه، وهو كشفُ الضوء، واشتُقّ منه «نسلخ» بمعنى نكشفُ على طريق الاستعارة التصريحية التبعية.

ومثالُ ما إذا كان الطرفان حسيين، والجامعُ بعضُه حسيّ، وبعضُه عقلي، قولك: رأيتُ بدراً يضحك. يريد شخصاً مثلَ «البدر» في حُسن الطلعة وعلوّ القَدْر. فحُسنُ الطلعة =

١ - عاميّة: وهي القريبَةُ المُبتذلةُ التي لاكَتْها الألسُن، فلا تَحتاجُ إلى بَحث. ويكونُ الجامعُ فيها ظاهراً، نحو: رأيتُ أسداً يَرمي. وكقوله:

= حسيّ . وعلوُّ القدر عقلي .
ومثالُ ما إذا كان الطرفان عقليين، ولا يكونُ الجامعُ فيهما إلا عقلياً كباقي الأقسام، قوله تعالى: ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ﴾ [يس: ٥٢]، فإن المستعارَ منه الرقادُ أي النوم، والمستعارُ له الموتُ، والجامعُ بينهما عدمُ ظهور الأفعال الاختيارية . والجميع عقلي، وإجراءُ الاستعارة: شُبه الموت بالنوم بجامع عدم ظهور الفعل في كلٍّ . واستُعيرَ لفظ المشبه به للمشبه على طريق الاستعارةِ التصريحيّة الأصلية . وقال بعضُهم: عدمُ ظهورِ الفعل في الموت أقوى . وشرطُ الجامع أن يكون في المستعار منه أقوى، فليجعلِ الجامعُ هو «البعث» الذي هو في النوم أظهر . وقرينةُ الاستعارة أن هذا الكلامَ كلام الموتى مع قوله: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾ [يس: ٥٣] وعلى هذا يقال: شُبه الموتُ بالرقاد بجامع عدم ظهورِ الفعلِ في كُلٍّ . واستعيرَ الرقادُ للموتِ، واشتقّ منه «مرقد» اسم مكان الرقادِ بمعنى قبرٍ اسم مكانِ الموت على طريق الاستعارة التصريحية التبعية .
ومثال ما إذا كانَ المستعارُ منه حسياً، والمستعارُ له عقليّاً قوله تعالى: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ﴾ [الحجر: ٩٤]، فإن المستعارَ منهُ كسرُ الزجاجة، وهو أمرٌ حسيّ باعتبار مُتعلقه، والمستعارُ له التبليغُ جَهراً، والجامعُ التأثيرُ الذي لا يمكنُ معه ردُّ كلٍّ منهما إلى ما كانَ عليه، أي أظهرَ الأمرَ إظهاراً لا يَنمحي . كما أنّ صدعَ الزجاجة لا يلتئمُ . وإجراءُ الاستعارة: شبهَ التبليغَ جَهراً بكسرِ الزجاجة بجامع التأثير الشديد في كلٍّ . واستُعيرَ المشبه به وهو «الصدع» للمشبه وهو التبليغ جهراً . واشتقّ منه «اصدعْ» بمعنى بلغْ جهراً على طريق الاستعارة التصريحية التبعية .
ومثالُ ما إذا كان المستعارُ منه عقلياً، والمستعارُ له حسياً قولُه تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلۡمَآءُ حَمَلۡنَٰكُمۡ فِي ٱلۡجَارِيَةِ ﴿١١﴾﴾ [الحاقة: ١١]، فإنّ المستعارَ له كثرةُ الماء كثرةً مفسدةً وهي حسيّة، والمستعارُ منه التكبّرُ، والجامع الاستعلاءُ المفرط، وهما عقليان . وإجراءُ الاستعارة: شُبّهت كثرةُ الماءِ المفرطة، بمعنى الطغيان وهي مجاوزةُ الحدّ بجامع الاستعلاء المفرط في كلٍّ . واستعيرَ لفظُ المشبه به، وهو الطغيانُ للمشبه وهو الكثرة المفرطة . واشتقّ منه «طغى» بمعنى كَثُر كثرةً مفرطةً على طريق الاستعارة التصريحية التبعية .
تنبيه: الاستعارةُ المكنية تنقسمُ أيضاً إلى أصلية وإلى تبعية . وإلى مرشّحة وإلى مجرّدة، وإلى مطلقة . كما انقسمتِ التصريحيةُ إلى مثل ذلك .
فالمكنية الأصلية: هي ما كان المستعارُ فيها اسماً غيرَ مشتقّ، كالسَّبع المتقدم . والتبعية: هي ما كانَ المستعارُ فيها اسماً مشتقاً، فلا تكونُ في الفعل ولا في الحرف . ومثالُها في الاسم المشتق: يُعجبني إراقةُ الضاربِ دمَ الظالم . فقد شُبه الضربُ الشديدُ بالقتل بجامع الإيذاء في كلٍّ، واستُعيرَ القتلُ للضرب الشديد ، ثم حُذفَ ورُمزَ إليه بشيء من لوازمه، وهو الإراقة، على طريق الاستعارة المكنية التبعية .
فالاستعارة التخييلية عندَ الجمهور: هي نفسُ إثباتِ اللازم المستعمل في حقيقته . وهي =

وأدهـمَ يَـسـتَـمِـدُّ الـلـيـلُ مـنـهُ وتـطـلُـعُ بـيـنَ عـيـنـيـهِ الـثُّـريّـا

فقد استعارَ الثُّريا لغرّة المُهرِ، والجامعُ بين الطرفين ظاهرٌ، وهو البياضُ، وقد يُتصرَّفُ في العاميّة بما يُخرجُها إلى الغرابة.

٢ - وخاصِّية: وهي الغريبةُ التي يكونُ الجامعُ فيها غامضاً، لا يُدركه إلا أصحابُ المداركِ من الخَواصّ، كقول كُثيِّر يمدح عبد العزيز بن مروان:

غَـمْـرُ الـرِّداء، إذا تـبـسَّـمَ ضـاحـكـاً غَـلِـقَـتْ لِـضـحـكـتـهِ رِقـابُ الـمـالِ

غَمْرُ الرِّداء: كثير العطايا والمعروف، استعارَ الرِّداء للمعروف، لأنه يصونُ ويسترُ عرضَ صاحبهِ كسَتْرِ الرِّداء ما يُلقَى عليه. وأضافَ إليه الغمرَ، وهو القرينةُ على عدم إرادةِ معنى الثَّوب، لأنّ الغَمْرَ من صفاتِ المال، لا مِن صفاتِ الثّوب. وهذه الاستعارةُ لا يَظفَرُ باقتطافِ ثمارها إلا ذَوُو الفِطَرِ السليمة، والخبرة التامة.

= من المجاز العقليّ، وإنما سميتْ استعارة لأنه استعيرَ ذلك الإثباتُ من المشبه به، للمشبه. وسُمِّيتْ تخييليةً لأن إثباتَه للمشبه خيَّلَ اتحادَه مع المشبه به . فقولنا: أظفارُ المنيةِ نَشِبتْ بفلان . فلفظُ «أظفار» في هذا التركيب مستعملٌ في حقيقته، وإنما التجوُّزُ في إثباته للمنية، أي إنّ ذلك الإثباتَ إثباتُ الشيء إلى غير ما هوَ له . فعند الجمهور التخييليةُ لا تفارقُ المكنية، لأنها قرينتُها .

والاستعارة المكنيةُ المرشَّحة: هي ما قُرنت بما يلائمُ المشبهَ فقط، نحو: نطقَ لسانُ الحال بكذا . شُبهت «الحالُ» بمعنى الإنسان، واستُعيرَ لفظُ المشبه به للمشبه، وحُذف ورُمزَ إليه بشيء من لوازمه وهو «لسان» . وإثباتُ اللسان للحال تخييلٌ، وهو القرينة، والنطقُ ترشيح، لأنه يلائم المشبه به فقط . وترشيحُ المكنية فيه خلافٌ مبسوطٌ في المطوَّلات .

والمكنيةُ المجرَّدةُ: هي ما قُرنت بما يُلائمُ المشبه فقط، نحو: نطقتِ الحالُ الواضحةُ بكذا. فالوضوحُ تجريدٌ، لأنه يلائمُ المشبه الذي هو إنسان فقط .

والمكنية المطلقة: هي التي تُقترن بشيء يلائمُ المشبه ولا المشبه به، أو قرنت بما يلائمهما معاً، نحو: نطقتِ الحالُ بكذا . ونطقَ لسانُ الحالِ الواضحةِ بكذا . ففي الأول شُبِّهتِ الحالُ بإنسانٍ واستُعيرَ لها اسمُه، وحُذف ورُمزَ إليه بشيءٍ من لوازمهِ وهو النطق . وإثباتُ النطق للحالِ تخييلٌ . وهي مجردةٌ لأنها لم تُقْتَرن بشيء يلائمُها .

وفي الثاني شبهتْ الحالُ بإنسان واستُعيرَ له اسمُه، وحُذفَ ورُمزَ إليه بشيءٍ من لوازمه وهو «لسان» . وإثباته للحال تخييلٌ، وهو القرينةُ، والنطقُ ترشيحٌ لأنه يلائمُ المشبه به، والوضوحُ تجريد، لأنه يلائمُ المشبه . ولما تعارضا سَقطا .

وتنقسمُ المكنيةُ أيضاً إلى عِناديةٍ، نحو: أنشبتِ المنيةُ أظفارَها بفلان . لأنه لا يمكنُ اجتماعُ طرَفيها في شيء واحد (يكون منيةً وسبعاً) . ووفاقيّة: نحو نطقتِ الحالُ بكذا . لأنه يمكنُ اجتماعُ طرفيها في شيء واحد، كالحالِ مع الإنسان .

المبحث العاشر

في تقسيم الاستعارةِ باعتبارِ ما يتّصلُ بها من الملائمات، وعدم اتّصالها

تنقسمُ الاستعارةُ باعتبارِ ذكرِ مُلائم المستعار منه أو باعتبارِ ذكرِ ملائم المستعارِ له أو باعتبارِ عدمِ اقترانِها بما يُلائمُ أحدهما إلى ثلاثةِ أقسامٍ: مُطْلَقة، ومرَشَّحة، ومُجرَّدة.

١ - **فالمطلقةُ**: هي التي لم تَقترنْ بما يلائمُ المشبهَ والمشبهَ به، نحو: ﴿يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ﴾[١] أو ذُكر فيها ملائمُها معاً، كقول زهير:

لدى أسَدٍ شاكي السِّلاحِ مُقَذَّفٍ لـهُ لِبَـدٌ أظفـارُه لـم تُـقَـلَّـمِ

استعار الأسدَ للرجلِ الشجاع، وقد ذَكر ما يناسبُ المستعارَ له في قوله: «شاكي السلاح مُقذَّف» وهو التّجريد. ثم ذكرَ ما يناسبُ المستعارَ منه في قوله: «له لِبَدٌ أظفارُه لم تُقلَّم» وهو الترشيح. واجتماعُ التجريد والترشيح يُؤدِّي إلى تَعارُضِهما وسقوطِهما. فكأنّ الاستعارةَ لم تُقْترن بشيءٍ ما، وتكون في رتبة المطلقة.

ب - **والمرشَّحة**: هي التي قُرنت بمُلائم المستعار منه «أي المشبه به» نحو: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ﴾[٢]. استُعير الشِّراءُ للاستبدال والاختيار، ثم فُرِّعَ عليها ما يلائمُ المستعارَ منه من الرِّبح والتِّجارة. ونحو: مَن باعَ دينَه بدنياهُ لم تَربحْ تِجارتُه.

وسمِّيتْ مُرشَّحةً لتَرْشيحها وتقْويتها بذكرى الملائم. وترشيحُ الاستعارة التصريحيّة متّفقٌ عليه.

ج - **والمجرَّدة**: هي التي قُرِنت بملائم المستعارِ له «أي المشبه»، نحو: اشترِ بالمعروف عِرْضَك منَ الأذى. وسُمِّيتْ بذلك لتجريدِها عن بعضِ المبالغة لبُعدِ المشبّه حينئذٍ عن المشبّه به بعضَ بُعدٍ. وذلك يُبعدُ دعوى الاتحادِ الذي هو مَبْنى الاستعارة. ثم اعتبارُ الترشيح والتّجريد إنما يكونُ بعد

---

(١) سورة الرعد، الآية ٢٥ .

(٢) سورة البقرة، الآية ١٦ .

تمام الاستعارة بقرينتها سواءٌ أكانتِ القرينةُ مقاليّة أم حاليّة، فلا تُعَدُّ قرينةُ المصَرَّحةِ تجريداً، ولا قرينةُ المكنيّة ترشيحاً، بل الزائدُ على ما ذُكِر.

واعلمْ أنّ الترشيحَ أبلغُ من غيرِه لاشتمالِهِ على تحقيقِ المبالغةِ بتناسي التّشبيه، وادِّعاءِ أن المُستعار له هو نفسُ المستعارِ منه لا شيءٌ شبيهٌ به. وكأنّ الاستعارةَ غيرُ موجودة أصلاً. والإطلاقُ أبلغُ من التجريد، فالتجريدُ أضعفُ الجميع، لأنّ به تَضعُفُ دعوى الاتحاد.

وإذا اجتمع ترشيحٌ وتجريدٌ فتكونُ الاستعارةُ في رتبةِ المطلقة. إذْ بتعارُضِها يتساقطان، كما سبق تفصيلُه. وكما يجري هذا التقسيم في التصريحيّة يجري أيضاً في المكنية.

المبحث الحادي عشر

في المجاز المرسَل المُركّب

المجاز المرسَل المُركّبُ هو الكلامُ المستعملُ في غير المعنى الذي وُضعَ له لعلاقةٍ غيرِ المُشابهة، مع قرينةٍ مانعةٍ من إرادة معناهُ الوضعي. ويقع:

أوّلاً: في المركّباتِ الخبريّة المستعملة في الإنشاء وعكسهِ لأغراضٍ:

١ - منها: التّحسُّر وإظهارُ التأسُّف، كما في قول الشاعر:

ذهبَ الصِّبا وتولَّتِ الأيّامُ فعَلى الصِّبا وعلى الزَّمانِ سلامُ

فإنّه وإن كان خبراً في أصلِ وضعهِ، إلا أنّه في هذا المقام مُستعملٌ في إنشاءِ التّحسُّر والتحزُّن على ما فاتَ من الشباب. وكما في قَول جعفرِ بن عُلبة الحارثيّ:

هَوايَ معَ الرَّكْبِ اليمانينَ مُصْعِدٌ جَنيبٌ وجُثْماني بمكةَ موثَقُ

فهو يشيرُ إلى الأسفِ والحُزنِ الذي ألمَّ به من فراق الأحبة، ويتحسَّرُ على ما آل إليه أمرُه. والقرينةُ على ذلك حالُ المتكلِّم، كما يُفهَم من الشطر الثاني في قوله: (هَوايَ . . إلخ).

٢ - ومنها: إظهارُ الضعف، كما في قوله:

رَبِّ إنّي لا أستطيعُ اصطِبارا فاعفُ عنّي يا مَنْ يُقيلُ العِثارا

٣ - ومنها: إظهارُ السرور، نحو: كُتِبَ اسمي بين الناجحينَ.

٤ - ومنها: الدُّعاء، نحو: نجَّحَ الله مقاصدَنا، أيها الوطنُ لك البقاءُ.

وثانياً: في المركّباتِ الإنشائية كالأمر، والنهي، والاستفهام. التي خرجتْ عن معانيها الأصلية، واستُعملتْ في معانٍ أُخَر، كما في قول المصطفى عليه الصلاة والسلام: «مَنْ كذَبَ عليَّ مُتعمِّداً فلْيَتَبَوَّأْ مَقعدَه من النّار».

إذِ المرادُ: «يتبوّأُ مقعدَه». والعلاقةُ في هذا السّببية والمسَبَّبية لأنّ إنشاء المتكلم للعبارة سببٌ لإخباره بما تتضمّنُه. فظاهره أمرٌ، ومعناهُ خبر.

المبحث الثاني عشر

في المجاز المركّب[1] بالاستعارةِ التمثيلية

المجازُ المركّب بالاستعارة التمثيلية: هو تركيبٌ استُعملَ في غير ما وُضعَ له لعلاقة المشابهة، مع قرينةٍ مانعةٍ من إرادة معناهُ الوضعيّ، بحيثُ يكون كلٌّ من المشبّه والمشبَّه به هيئةٌ مُنتزعة من متعدِّد. وذلك بأن تُشبِّه إحدى صورتين منتزعتين من أمرين أو أمورٍ بأخرى. ثم تدخلَ المشبه في الصّورة المشبَّهة بها، مبالغة في التشبيه. ويسمّى بالاستعارة التمثيلية[2]. وهي كثيرة الورود في الأمثال السائرة، نحو: «الصَّيفَ ضَيَّعْتِ اللَّبَن» يُضرَبُ لمن فرّطَ في تحصيلِ أمرٍ في زمن يمكنه الحصولُ عليه فيه، ثمّ طلبه في زمنٍ لا يمكنه الحصول عليه فيه[3]. ونحو: «إني أراكَ تُقدِّمُ رِجلاً وتُؤخِّرُ أخرى» يُضربُ لمن يتردّدُ

---

(١) المجاز المركب: هو تركيبٌ استعملَ في ما يشبّه بمعناه الأصلي تشبيهَ تمثيل.

(٢) سُميتْ تمثيليةً مع أنّ التمثيل عامٌّ في كل استعارة، للإشارة إلى عِظَم شأنها. كأنّ غيرها ليس فيه تمثيلٌ أصلاً، إذِ الاستعارة التمثيليةُ مبنيّة على تشبيه التمثيل. ووجهُ الشبه فيه هيئةٌ منتزعةٌ من متعدد. لهذا كان أدقَّ أنواع التشبيه. وكانت الاستعارة المبنيةُ عليه أبلغَ أنواعِ الاستعارات. ولذلك كان كلٌّ من تشبيه التمثيل، والاستعارة التمثيلية غرضَ البلغاء.

(٣) أصلُ المثل: أنّ امرأةً كانت متزوّجةً بشيخ غنيّ، فطلبتْ طلاقَها منه في زمنِ الصيفِ لضعفه. فطلّقها، وتزوّجت بشابٍّ فقير. ثم طلبتْ من مطلّقها لبناً وقتَ الشتاء، فقال لها ذلك المثل. وإجراءُ الاستعارة في المثل الأول أن يقال: شُبهت هيئةُ مَن فرّط في أمرٍ زمنَ إمكانِ تحصيله، بهيئةِ المرأةِ التي طُلقت من الشيخ اللابن، ثم رجعتْ إليه تطلبُ منه اللبنَ شتاءً، بجامعِ التفريط في كلّ. واستُعيرَ الكلام الموضوعُ للمشبه به للمشبه، على=

في أمرٍ، فتارةً يُقْدِمُ وتارةً يُحجِم، ونحو: «أحَشَفاً[1] وسُوءَ كِيلة؟» يُضربُ لمن يظلم من وجهين، وأصلُه أنّ رجلاً اشترى تمراً من آخرَ، فإذا هو رديءٌ، وناقصُ الكيل. فقال المشتري ذلك. ومثلُ ما تقدّم جميع الأمثال السائرة نثراً ونظماً.

فمن النّثر قولُهم لمن يحتالُ على حصولِ أمرٍ خفيٍّ، وهو مُتَستِّر تحت أمرٍ ظاهر: «لأمرٍ ما جَدعَ قصيرٌ أنفه»، وقولهم: «تَجوعُ الحُرّة ولا تأكلُ بثَدْيَيْها»، وقولُهم لمن يريدُ أن يعملَ عملاً وحدَه وهو عاجزٌ عنه: «اليدُ لا تُصفِّقُ وحدَها»، وقولُهم لمجاهدٍ عادَ إلى وطنه بعد سفر: «عادَ السّيفُ إلى

= طريق الاستعارة التمثيلية .

وإجراءُ الاستعارة في المثل الثاني، أن يقال: شُبِّهتْ هيئةُ من يتردّدُ في أمرٍ بينَ أن يفعلَه وألا يفعلَه، بهيئةِ من يتردّدُ في الدّخول، فتارةً يقدِّمُ رِجلَه، وتارةً يؤخِّرها بجامع الحَيْرة في كلّ . واستُعير الكلام الموضوعُ للمشبه به للمشبه، على طريق الاستعارة التمثيليّة .

وإجراءُ الاستعارة في المثل الثالث: شُبهتْ هيئةُ من يظلمُ من وجهين بهيئةِ رجلٍ باعَ آخرَ تمراً رديئاً وناقصَ الكيل، بجامع الظلم من وجهين في كلّ . واستُعيرَ الكلامُ الموضوعُ للمشبه به للمشبه، على طريق الاستعارة التمثيلية .

وإجراءُ الاستعارة في المثل الرابع، شُبهت هيئةُ الرجل المتستِّر تحتَ أمرٍ ليحصلَ على أمرٍ خفيّ يريدُه، بهيئة الرجلِ المسمى (قصيراً) حين جدَع أنفَه ليأخذ بثأرٍ جَذيمةَ من الزبّاء بجامع الاحتيال في كلّ . واستعير الكلامُ الموضوعُ للمشبه به للمشبه، على طريق الاستعارة التمثيلية .

وإجراءُ الاستعارة في المثل الخامس أن يقالَ: شُبهت هيئة الرجل الكريم الأصلِ العزيز النفس، الذي لا يُفضِّلُ الدّنايا على الرّزايا عندما تزلُّ به القدم، بهيئة المرأة التي تفضِّل جوعَها على إجارتها للإرضاع عندَ فقْرها بجامع ترجيح الضّرر على النّفع في كلّ . واستعيرَ الكلامُ الموضوعُ للمشبه به للمشبه، على طريق الاستعارة التمثيلية .

وإجراءُ الاستعارة في المثل السادس، شُبهت هيئةُ مَن يريدُ أن يعملَ عملاً وحدَه وهو عاجزٌ عنه، بهيئة من يريدُ أن يصفّقَ بيدٍ واحدة، بجامع العجز في كلّ . واستُعيرَ الكلامُ الموضوعُ للمشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التمثيلية .

وإجراءُ الاستعارة في المثل السابع، شُبهتْ هيئةُ الرجل الذي يحصل بوجوده فصلُ المشكلات، بهيئةِ نبيِّ الله موسى عليه السلام، مع سحَرة فرعونَ، بجامع حسمِ النزاع في كلّ . واستعير الكلام الموضوعُ للمشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التمثيلية .

وإجراءُ الاستعارة في المثل الثامن، شُبهت هيئة الرجل الذي لا يقولُ إلا الحقّ ولا يخبرُ إلا بالصدق، بهيئة المرأةِ المسماة «حَذام» بجامع الصدق في كلّ، واستُعيرَ الكلام الموضوعُ للمشبه به للمشبه، على طريق الاستعارةَ التمثيلية .

(١) الحشف: التمر اليابس .

قِرابه، وحلَّ الليثُ منيعَ غابه»، وقولهم لمن يأتي بالقول الفصل: «قطَعَتْ جَهيزةُ قولَ كلِّ خطيبٍ»[١].

ومن الشعر قول الشاعر:

- إذا جاءَ موسى وألقى العصا ... فقد بطَلَ السِّحرُ والسّاحرُ
- إذا قالت حَذام فصدّقوها ... فإنّ القولَ ما قالت حَذام
- متى يَبلغُ البُنيانُ يوماً تمامَهُ ... إذا كنتَ تَبنيهِ وغيرُكَ يَهدِمُ[٢]

وإذا فشتْ وشاعتِ الاستعارةُ التمثيلية[٣]، وكثُر استعمالُها تكونُ مثَلاً[٤]

---

(١) أصلُ هذا المثل أن قوماً اجتمعوا للتشاوُرِ في الصّلح بين حيَّينِ من العرب قتلَ رجلٌ من أحدهما رجلاً من الآخر. وبينما خطباؤهم يتكلمون، إذا بجاريةٍ تُدعى جَهيزة أقبلتْ فأخبرتْهم أن أولياءَ المقتول ظفروا بالقاتل فقتلوه. فقال أحدهم: «قطعتْ جَهيزة قولَ كلّ خطيبٍ» فذهب قوله مثلاً.

(٢) وإجراءُ الاستعارة في المثل التاسع: شُبهت حال المُصلح يبدأ الإصلاحَ ثم يأتي غيرُه فيبطلُ عملَه، بحال البنيانِ ينهضُ به، حتى إذا أوشكَ أن يتمَّ جاءَ مَن يهدمُه، والجامع هو الحالةُ الحاصلةُ من عدم الوصول إلى الغاية، لوجودِ ما يفسِدُ على المصلح إصلاحَه، ثم حُذف المشبه، واستُعيرَ التركيبُ الدالُ على المشبه به للمشبه.

(٣) وتنقسم التمثيليةُ إلى قسمين: تحقيقية وتخييلية. فالتحقيقيةُ هي المنتزعةُ من عدةِ أمور متحققة موجودةٍ خارجاً، كما في الأمثلة السابقة. والتخييليةُ هي المنتزعةُ من عدة أمور متخيلة مفروضة لا تحقُّق لها في الخارج ولا في الذهن. وتسمى الأولى «تمثيلية تحقيقية» والثانية «تمثيلية تخييلية» كقوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾ [الأحزاب: ٧٢]، الآية على احتمالِ فيها فإنه لم يحصلْ عرْضٌ وإباء وإشفاق منها حقيقة، بل هذا تصويرٌ وتمثيل، بأن يفرضَ تشبيهُ حالِ التكاليفِ في ثِقل حملها وصعوبة الوفاء بها، بحالِ أنها عُرضت على هذه الأشياء مع كِبَر أجرامها، وقوة متانتها. فامتنعنَ وخِفْنَ من حملها، بجامع عدم تحققِ الحمل في كل. ثم استعيرَ التركيبُ الدالُ على المشبه به للمشبه استعارةً تمثيليةً. ونحو قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١]، فإن معنى أمر السماء والأرض بالإتيان وامتثالهما أنه أرادَ تكوينَهما فكانتا كما أراد. فالغرضُ تصويرُ تأثيرِ قدرتِهِ فيهما وتأثُّرهما عنها. وتمثيل ذلك بحالةِ الآمرِ المطاع لهما وإجابتهما له بالطاعة فرضاً وتخييلاً من غير أن يتحقّقَ شيءٌ من الخطاب والجواب. هذا أحدُ وجهين في الآيتين، كما في «الكشاف» فارجع إليه.

(٤) الأمثال هي عبارات موجزة مأثورة، تشبه الناس بها جديد أحوالهم بقديمها، وهي نوعان: حقيقية وفرَضية.

فالحقيقية: هي ما حدث موردها في الوجود.

لا يُغيَّر مطلقاً، بحيثُ يُخاطَبُ به المفردُ، والمذكرُ، وفروعهما، بلفظٍ واحدٍ من غيرِ تغييرٍ ولا تبديلٍ عن مَورده الأول، وإن لم يُطابق المضروب له.

ولذا كانت هذه الاستعارةُ مَحطَّ أنظار البُلغاء، لا يَعدِلونَ بها إلى غيرها إلا عندَ عدم إمكانِها، فهي أبلغُ أنواع المجاز مفرداً أو مركباً، إذ مبناها تشبيهُ التمثيل الذيَ قد عرفتَ أنّ وجهَ الشبه فيه هيئة منتزعة من أشياء متعدِّدة.

= والفرَضية: ما لم يحدث موردها في الوجود، وإنما اخترعت على لسان حيوان أو غيره.
ولكل مثل (مورد) وهي الحالة القديمة التي قيل فيها لأول مرة.
ولكل مثل (مضرب) وهي الحالة الجديدة التي استعير لها.
وكما تكون الأمثال نثراً تكون شعراً، وتضرب كما وردت دون تغيير في لفظها.
وللأمثال الحقيقية أسباب ونتائج، تفيد المجتمع الإنساني:
منها: كونها مرآة صقيلة للمواعظ والعبر.
ومنها: كونها مقياساً لرقي الأمة ولسان أخلاقها.
ومنها: كونها مجموعة نفيسة من السلف إلى الخلف.
أما الأمثال الفرَضية فهي عظة للعاقل ومسلاة للجاهل.
وأشهر الكتب الجامعة للأمثال:
كتاب مجمع الأمثال، للميداني.
جمهرة الأمثال، لأبي هلال العسكري.
العقد الفريد، لابن عبد ربه.
كتاب كليلة ودمنة، لابن المقفع. وغيرهم.
ولا يسمى القول مثلاً إلا إذا سار وذاع بين الناس جميعاً.
ومما تقدم شرحه في تشبيه التمثيل والاستعارة التمثيلية، يعلم الفرق بين كلٍّ منهما في الجدول الآتي للموازنة بينهما.

تشبيه التمثيل	الاستعارة التمثيلية
١- تشبيه التمثيل يُذكرُ فيه المشبه والأداة.	١- الاستعارة التمثيلية لا تكون إلا في التراكيب.
٢- تشبيهُ التمثيل يجوزُ أن يكون بين مفردين مثل: المنافق كالحرباء.	٢- الاستعارة التمثيلية نوع من المجاز، فهي لذلك أبلغ منه.
٣- تشبيهُ التمثيل لا يصلحُ استعارةً دون حذف.	٣- الاستعارة التمثيلية تحتاجُ إلى قرينةٍ تمنع من إرادة المعنى الأصلي.
٤- تشبيه التمثيل لا يحتاج إلى قرينة معه تدل على حقيقته.	٤- الاستعارة التمثيلية يُحذف منها المشبه والأداة، ولا يبقى فيها من أركان التشبيه إلا ما كان مشبَّهاً به فقط.
٥- تشبيه التمثيل نوع من الحقيقة.	٥- الاستعارة التمثيلية تصلحُ مشبهاً به دون حذف، والتشبيه معها أكثرُ ما يكونُ غيرَ تمثيل.

ومن ثم كانت هي والتشبيه المبنيّةُ عليه غرضَ البُلغاء الذين يتسامَونَ إليه، ويتفاوتون في إصابته، حتى كثُروا في القرآن الكريم كثرةً كانت إحدى الحُججِ على إعجازه.

والاستعارةُ ميدانٌ فسيحٌ من مَيادين البلاغة، وهي أبلغ من التشبيه. لأنها تضعُ المخاطب بدلاً من المشبه صورةً جديدة تملكُ عليه مشاعرَه، وتُذهله عما ينطوي تحتَها من التشبيه، وعلى مقدارِ ما في تلك الصورة من الرّوعة، وسموِّ الخيال تكونُ البلاغةُ في الاستعارة.

وأبلغُ أنواع الاستعارة «المرشَّحة» لذكرِ ما يُناسبُ المستعارَ منه فيها، بناءً على الدّعوى بأن المستعارَ له هو عينُ المستعار منه. ثمّ تليها «المُطلقة» لتركِ ما يناسبُ الطَّرفينِ فيها، بناءً على دعوى التّساوي بينهما. ثم تليها «المُجردة» لذكرِ ما يناسبُ المستعارَ له فيها، بناءً على تشبيهه بالمستعار منه.

ولا بدّ في الاستعارة، وفي التمثيل على سبيل الاستعارة، مِن مراعاةِ جهاتِ حسنِ التشبيه، كشمولِ وجهِ الشَّبَه للطرفين، ومن كونِ التشبيه وافياً بإفادة الغرض، ومن عدم شمِّ رائحة التشبيه لفظاً. ويجبُ أن يكونَ وجه الشبه بين الطرفين جليّاً، لئلا تصيرَ الاستعارةُ والتمثيلُ تَعْمية.

أسئلة على الاستعارة يُطلب أجوبتها

ما هي الاستعارة؟ ما أركانُها؟ كم قسماً الاستعارة باعتبار ذكر الطرفين المشبه به والمشبه؟ ما أصلُ الاستعارة؟ ما هي الاستعارةُ التصريحية؟ كم قسماً الاستعارة التصريحية؟ كم قسماً الاستعارةُ باعتبارِ ذكر ملائم المستعار له، والمستعار منه؟ ما هي الاستعارةُ المرشّحة؟ ما هي الاستعارة المجرّدة؟ ما هي الاستعارة المطلقة؟ كم قسماً للاستعارة باعتبار إمكانِ اجتماع طرفيها في شيء؟ ما هي الاستعارة الوفاقية؟ ما هي الاستعارة العِنادية؟ كم قسماً الاستعارة باعتبار الجامع؟ ما هي العامية؟ ما هي الخاصية؟ ما هي التمليحية؟ ما هي التهكُّمية؟ ما مثال الطرفين الحسيين والجامع حسيّ؟ ما مثال الطرفين الحسيين والجامع عقلي؟ ما مثال الطرفين العقليين والجامع عقلي؟ ما مثالُ المستعار منه الحسي والمستعار له العقلي؟ ما مثالُ المستعار منه العقلي

والمستعار له الحسي؟ ما هي الاستعارة بالكناية عند الجمهور؟ ما هي الاستعـ ة بالكناية عند السكاكي؟ ما هي الاستعارة بالكناية عند الخطيب؟ كم قسماً للاستعارة بالكناية؟ ما هي المكنية الأصلية؟ ما هي المكنية التبعية؟ ما هي الاستعارةُ التخييلية عند الجمهور؟ لِمَ سُمِّيت استعارة؟ لم سميت تخييلية؟ ما هي الاستعارة المكنية المرشحة؟ ما هي الاستعارة المكنيةُ المجرّدة؟ ما هي الاستعارة المكنية المطلقة؟ كم قسماً للمكنية باعتبار إمكانِ اجتماعِ طرفيها في شيء؟ ما هي العِنادية؟ ما هي الوفاقية؟ ما هو المجازُ المركَب؟ ما هي الاستعارة التمثيلية؟ ما هو المجاز المركبُ بالاستعارة؟ ما هي محسناتُ الاستعارة؟

تمرين آخر على كيفية إجراء الاستعارات

- فسَمَونا والفجرُ يضحكُ في الشَّر ... قِ إلينا مُبشراً بالصّباحِ[١]
- عضَّنا الدَّهرُ بنابِهْ ... ليتَ ما حَلَّ بنا بِهْ[٢]
- لسنا وإنْ أحسابُنا كرُمتْ ... يوماً على الأحسابِ نتّكلُ[٣]
- دقّاتُ قلبِ المرءِ قائلةٌ له: ... إنّ الحياةَ دقائقٌ وثوانِ[٤]
- بكتْ لؤلؤاً رطباً ففاضتْ مدامعي ... عقيقاً فصارَ الكلُّ في نَحْرِها عِقدا[٥]

---

(١) شبّه الفجرَ بإنسانٍ يتبسّم، فتظهرُ أسنانُه مضيئةً لامعة، والقدرُ المشترك بينهما (البريق واللمعان). واستعار اللفظَ الدالَّ على المشبه به للمشبه، ثم حَذف المشبه وأشار إليه بشيء من لوازمه وهو الضحك، على طريق الاستعارة بالكناية، وإثبات الضحكِ استعارةٌ تخييلية.

(٢) شبّه حوادثَ الدهر بالعضّ، بجامع التأثير والإيلام من كلّ . واستعارَ اللفظَ الدالَّ على المشبه به للمشبه، واشتقَّ من العضّ وهو المصدر، «عضّ» بمعنى آلَم . على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية، وذِكْرُ النابِ ترشيح .

(٣) في كلمة «على» استعارة تصريحية تبعية، فقد شبه مطلقَ ارتباطٍ بينَ حسب وحسيب بمطلقِ ارتباطٍ بين مُستعلٍ ومُستعلى عليه، بجامع التمكن والاستقرار في كلّ . ثم استعيرتْ «على» من جزئيٍّ من جزئيات الأول لجزئي من جزئيات الثاني، على سبيل الاستعارة التبعية التصريحية .

(٤) شبّه الدلالةَ بالقول بجامع إيضاح المراد في كلّ، واستعارَ اللفظَ الدالَّ على المشبه به للمشبه، واشتقَّ من القول بمعنى الدلالة (قائل) بمعنى دالّ، على طريق الاستعارة التصريحية التبعية، والقرينةُ نسبةُ القول إلى الدقات .

(٥) شبّه الدمعَ المتساقط من عينيها باللؤلؤ بجامع البياض والتنسيق في كل، واستعار اللفظَ =

- إن التباعُدَ لا يضُرّ إذا تقاربتِ القلوبُ[١].

- ذمّ أعرابيٌّ رجلاً فقال: «يقطع نهارَه بالمنى، ويتوسّد ذِراعَ الهمِّ إذا أمسى»[٢].

- قومٌ إذا الشرُّ أبْدى ناجِذَيْهِ لهمْ طاروا إليه زرافاتٍ ووحدانا[٣]

- جاء الشتاءُ واجْثألّ القُبَّرُ وطلعتْ شمسٌ عليها مِغْفَرُ[٤]

- سأبكيكَ للدُّنيا وللدِّينِ إن أبَتْ يدُ المعروفِ بعدَكَ شلَّتِ[٥]

- ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾[٦][٧].

= الدالّ على المشبه به للمشبه، ثم شبّه الدمعَ النازلَ من عينيه بالعقيق بجامع الحمرة. واستعارَ اللفظَ الدالّ على المشبه به للمشبه، والقرينة كلمتا بكت وفاضت. وذكر العِقد ترشيح .

(١) شُبِّه التوادُّ بالتقارب بجامع الألفة في كلٍّ منهما، ثم استُعير التقارب للتوادّ، واشتقَّ منه تقارب بمعنى توادّ . والقرينةُ كلمةُ القلوب وهي استعارةٌ مطلقة .

(٢) شبّه المنى بسكين قاطع بجامع الإجهاز وإنهاء المقطوع في كلّ، واستعارَ اللفظَ الدالّ على المشبه به للمشبه، وحذفه ورَمز إليه بشيء من لوازمه وهو يقطعُ، على سبيل الاستعارة المكنية الأصلية المطلقة، ويقطع: استعارة تخييلية . وكذا شبّه الهمّ بإنسان واستعارَ اللفظَ الدال على المشبه به للمشبه، وحذفه ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الذراع، على سبيل الاستعارة المكنية الأصلية المرشحة . والقرينةُ كلمةُ الذراع، ويتوسّد: ترشيح .

(٣) شبّه الشرَّ بأسدٍ متحفِّزٍ للوثوب، فيكشّرُ عن أنيابه، بجامع الاستعداد للهجوم في كلّ . واستعارَ اللفظَ الدالّ على المشبه به للمشبه، وحذفه ورمز إليه بشيء من لوازمه، وهو الناجذان على طريق الاستعارة المكنية المرشحة . والقرينةُ كلمةُ ناجذيه . وكلمةُ أبدى ترشيح . ثم شبه مشيهم بالطيران بجامع السرعة في كلّ منهما، واستعارَ اللفظَ الدالّ على المشبه به للمشبه . واشتقَّ من الطيران طارَ بمعنى أسرع، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية المطلقة، والقرينة إسنادُ الطيران إليهم .

(٤) شبّه السحابَ الذي يستُر الشمسَ، بالمِغفرِ الذي يستر الرأسَ، بجامع الستر في كلّ، واستعارَ اللفظَ الدالّ على المشبه به للمشبه، على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية المطلقة، والقرينةُ كلمة شمس .

(٥) شبّه المعروفَ بإنسانٍ له يدٌ تعطي، والجامعُ الإعطاء في كلٍّ منهما، وحذفَه ورمز إليه بشيء من لوازمِه، وهو اليدُ على سبيل الاستعارة المكنية الأصلية المرشحة . والقرينة كلمة يد . وهي الاستعارةُ التخييلية . وشلّت، ترشيح .

(٦) شبه تمكُّنه عليه الصلاة والسلام من الهدى والأخلاق الشريفة والثبوت عليها بتمكُّن مَن علا دابةً يصرفُها كيف شاء، بجامع التمكنِ والاستقرار في كلّ . فسرى التشبيهُ من الكليَّين للجزئيات التي هي معاني الحروف، فاستُعيرَ لفظُ «على» الموضوع للاستعلاء الحسي للارتباط والاستعلاء المعنوي على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية .

(٧) سورة القلم، الآية ٤ .

- سقاه الرَّدى سَيْفٌ إذا سلَّ أو مَضَتْ إليه ثنايا الموتِ مِن كلِّ مَرْقَدِ[١]

- ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾[٢][٣].

- ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[٤][٥].

- فتًى كُلّما فاضَتْ عُيونُ قبيلةٍ دماً ضَحِكَتْ عنهُ الأحاديثُ والذِّكرُ[٦]

بلاغة الاستعارة بجميع أنواعها

سبقَ لكَ أنّ بلاغة التشبيه آتيةٌ من ناحيتين، الأولى طريقة تأليف ألفاظه. والثانيةُ ابتكارُ مشبهٍ به بعيد عن الأذهان، لا يجولُ إلا في نفس أديب، وهبَ الله له استعداداً سليماً في تعرُّف وجوهِ الشبه الدقيقة بين الأشياء، وأودَعهُ قُدرةً على ربط المعاني، وتوليدِ بعضِها من بعضٍ إلى مدًى بعيد لا يكادُ ينتهي.

---

(١) شبّه لحاقَ الموت به بالسقي بجامع الوصول في كلّ، واستعارَ اللفظَ الدالَّ على المشبه به للمشبه، ثم اشتقَّ من السقي «سقى» على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية . والقرينةُ على ذلك نسبةُ السقي إلى الرّدى . وأيضاً قد شبه الموتَ بإنسانٍ له ثنايا يضحكُ منها فتلمعُ وتضيء . والجامعُ البريقُ واللمعان . واستعارَ اللفظَ الدالَّ على المشبه به للمشبه ثم حذَفه ورمزَ إليه بشيء من لوازمهِ وهو الثنايا، على سبيل الاستعارةِ المكنية الأصلية المرشحة . والثنايا استعارة تخييلية . وأومض، ترشيح .

(٢) شبه القصدَ إلى الشيء والتوجه له بالفراغ والخلوص من الشواغل، بجامع الاهتمام في كلّ. واستعارَ اللفظَ الدالَّ على المشبه به للمشبه . ثم اشتقَّ من الفراغ بمعنى الخلو «نفرغ» على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية . والقرينةُ حالية .

(٣) سورة الرحمن، الآية ٣١ .

(٤) في كلمة «في» استعارة تصريحية تبعية، فقد شُبهت «في» التي تدلُّ على الارتباط بـ «في» التي تدلُّ على الظرفية بجامع التمكن في كلّ، فسَرى التشبيه من الكليين إلى الجزئيات، فاستعيرت «في» من الثاني للأول على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية . والقرينة على ذلك كلمة الضلال .

(٥) سورة الأعراف، الآية ٦٠ .

(٦) شبه العيونَ بالنهر بجامع الصبِّ الكثير في كل منهما، واستعارَ اللفظَ الدالَّ على المشبه به للمشبه، ثم حذفه ورمزَ إليه بشيء من لوازمه وهو فاضَ، على سبيل الاستعارة الأصلية المكنية . وفاضَ قرينتُها وهي الاستعارة التخييلية . وكذا شبه السرورَ والأريحية بالضحك بجامع ما تجدُه النفسُ عند كلّ من المسرّة، واستعارَ اللفظَ الدالَّ على المشبه به للمشبه، ثم اشتقَّ من الضحك بمعنى السرور ضحك بمعنى سُرَّ، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية .

وسرُّ بلاغة الاستعارة لا يتعدّى هاتين الناحيتين. فبلاغتُها من ناحيةِ اللفظ أنّ تركيبها يدلُّ على تناسي التشبيه، ويَحْملُكَ عمداً على تخيُّل صورةٍ جديدة تُنسيكَ روعتَها ما تضمَّنه الكلامُ من تشبيهٍ خفيٍّ مستور. انظر إلى قول البُحْتري في الفَتْح بنِ خاقان:

يسمو بكفٍّ على العافينَ[1] حانيةٍ تَهمي وطَرفٍ إلى العلياءِ طمّاحُ

ألستَ ترى كفَّه، وقد تمثَّلت في صورةِ سحابةٍ هتّانةٍ، تَصُبُّ وَبْلَها على العافينَ والسائلين، وأنّ هذه الصورة قد تملَّكَتْ عليكَ مشاعرَك فأذْهلَتْك عمّا اختبأ في الكلام من تشبيه؟

وإذا سمعتَ قوله في رثاء المتوكل وقد قُتِل غِيلةً:

صَريعٌ تَقاضاهُ الليالي حُشاشةً يَجودُ بها والموتُ حُمْرٌ أظافرُهْ[2]

فهل تستطيعُ أن تُبْعِدَ عن خيالك هذه الصُّورةَ المخيفةَ للموت، وهي صورةُ حيوانٍ مفترسٍ، ضُرِّجَتْ أظفارُه بدماء قتلاه؟

لهذا كانت الاستعارةُ أبلغُ من التشبيه البليغ، لأنه وإن بُنيَ على ادّعاء أنّ المشبهَ والمشبهَ به سواء، لا يزالُ فيه التشبيهُ مَنْوياً ملحوظاً، بخلاف الاستعارة. فالتشبيهُ فيها منسِيٌّ مَجْحود. ومن ذلك يظهر لكَ أنّ الاستعارةَ المرشحةَ أبلغُ من الاستعارة المطلقة، وأنّ الاستعارةَ المطلقةَ أبلغُ من الاستعارة المجرّدة.

أما بلاغةُ الاستعارة من حيثُ الابتكارُ، وروعةُ الخيال، وما تحدثُه من أثرٍ في نفوسِ سامعيها، فمجالٌ فسيحٌ للإبداع، وميدانٌ لتسابُق المجيدين من فرسان الكلام. انظر إلى قوله عزّ شأنُه في وصف النار: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾﴾[3].

ترتسمُ أمامَك النارُ في صورةِ مخلوقٍ ضخم، بطّاشٍ مكفهرِّ الوجه، عابسٍ يغلي صدرُه حقداً وغيظاً. (عن البلاغة الواضحة بتصرف).

---

(١) هم الذين يطلبون الإحسان والصدقة .

(٢) الصريع: المطروح على الأرض . وتقاضاه: أصله تتقاضاه بحذف إحدى التاءين، وهو من قولهم: تقاضى الدائنُ دينَه إذا قبضَه . والحُشاشة: بقيةُ الروح في المريض والجريح . يصفُه بأنه مُلقى على الأرض يلفظُ النفَسَ الأخيرَ من حياته .

(٣) سورة الملك، الآية ٨ .

الباب الثالث

في الكناية وتعريفها وأنواعها

الكِنايةُ[1] لُغةً: ما يَتكلّم به الإنسانُ، ويُريدُ به غيرَه. وهي مصدرُ كَنَيْتُ،

---

(١) توضيح المقام أنه إذا أطلق اللفظُ، وكان المرادُ منه غيرَ معناه، فلا يخلو إمّا أن يكون معناه الأصلي مقصوداً أيضاً، ليكونَ وسيلةً إلى المراد . وإما ألا يكونَ مقصوداً . فالأول: الكناية، والثاني: المجاز .

فالكناية: هي أن يريدَ المتكلّمُ إثباتَ معنًى من المعاني، فلا يذكرُه باللفظِ الموضوعِ له، ولكن يجيء إلى معنى هو مرادفه، فيومئُ به إلى المعنى الأول، ويجعلُه دليلاً عليه .

أو الكنايةُ: هي اللفظ الدالُّ على ما له صلة بمعناه الوضعي، لقرينةٍ لا تمنعُ من إرادة الحقيقةِ، كفلانٍ نقيّ الثوب . أي: مبرأ من العيب . وكلفظِ «طويل النِّجاد»: المرادُ به طولُ القامة، فإنه يجوز أن يرادَ منه طولُ النجاد أي علاقةُ السيف أيضاً، فهي تُخالف المجازَ من جهةِ إمكانِ إرادةِ المعنى الحقيقي مع إرداة لازمه . بخلاف المجاز، فإنه لا يجوزُ فيه إرادةُ المعنى الحقيقي لوجودِ القرينة المانعة من إرادته . ومثلُ ذلك قولهم: «كثير الرماد» يعنون به أنه كثيرُ القِرى والكرم، وقولُ الحضرمي:

قد كانَ تعجبُ بعضَهنّ براعتي ... حتى رأينَ تَنَحْنُحي وسُعالي

كنى عن كبر السنّ بتوابعه، وهي التنحنحُ والسُّعال . وقولهم: المجدُ بين ثوبيه، والكرمُ بين برديه . وقوله:

إنّ السماحةَ والمروءةَ والنَّدى ... في قُبّةٍ ضُربتْ على ابنِ الحشرجِ

وقوله:

وما يَكُ فيَّ من عيبٍ فإنّي ... جبانُ الكلبِ مهزولُ الفَصيلِ

فإن «جبان الكلب» كنايةٌ . وكذا «مهزول الفصيل» . والمرادُ منها ثبوت الكرم . وكلُّ واحدةٍ على حِدَتها تؤدي هذا المعنى . وقد جاء عن العرب كناياتٌ كثيرةٌ كقوله:

بيضُ المطابخ لا تَشكو إماؤهمو ... طبخَ القُدورِ ولا غسلَ المناديلِ

ويُروى أن خلافاً وقعَ بينَ بعض الخلفاء ونديم له في مسألة، فاتفقا على تحكيم بعضِ أهلِ العلم، فأُحضر . فوجدَ الخليفةَ مخطئاً، فقال: «القائلون بقول أمير المؤمنينَ أكثر» يريد الجهال . وإذا كان الرجلُ أحمقَ قيل: «نعتُه لا ينصرفُ» . ونظرَ البديعُ الهمَذانيُّ إلى رجلٍ طويلٍ باردٍ، فقال: قد أقبلَ ليلُ الشتاء . ودخلَ رجلٌ على مريضٍ يعودُه وقد اقشعرَّ من البرد، فقال: ما تجدُ فِدَيتُك؟ قال: أجدُك . يعني البردَ . وإذا كانَ الرجلُ ملولاً قيل: هو من بقيةِ قومِ موسى . وإذا كان ملحداً، قيل: قد عبر (يريدون جسرَ الإيمان) . وإذا كان يسيء الأدبَ في المؤاكلة قيل: تسافرُ يدُه على الخوانِ ويرعَى أرضَ الجيران . =

أو كَنَوتُ بكذا، إذا تركتَ التّصريحَ به. واصطلاحاً: لفظٌ أُريدَ به غيرُ معناهُ الذي وُضعَ له، مع جوازِ إرادةِ المعنى الأصليّ، لعدم وجودِ قرينةٍ مانعةٍ من إرادته، نحو: «زيدٌ طويلُ النجاد». تُريدُ بهذا التركيبِ أنه شجاعٌ عظيم، فعدَلْتَ عن التّصريح بهذهِ الصّفة إلى الإشارةِ إليها بشيء تترتّبُ عليه وتلزمُه، لأنه يلزمُ مِن طول حِمالةِ السيف طول صاحبه، ويلزمُ من طولِ الجسم الشّجاعةُ عادةً. فإذاً المرادُ طولُ قامته، وإن لم يكن له نِجادٌ، ومع ذلك يَصحُّ أن يُرادَ المعنى الحقيقيّ. ومن هنا يُعلَمُ أنّ الفرقَ بين الكناية والمجاز صحةُ إرادةِ المعنى الأصليّ في الكناية، دون المجاز، فإنه ينافي ذلك.

= ويقال عمن يُكثر الأسفار: فلانٌ لا يضعُ العصا عن عاتقه . وجاء في القرآن الكريم: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ [الحجرات: ١٢]، فإنه كنى عن الغيبةِ بأكلِ الإنسان لحمَ الإنسان . وهذا شديدُ المناسبة، لأن الغيبةَ إنما هيَ ذكرُ مثالبِ الناس، وتمزيقُ أعراضِهم . وتمزيقُ العِرض مماثلٌ لأكلِ الإنسان لحمَ مَن يغتابُه .

ومن أمثال العرب قولهم: « لبستُ لفلانٍ جلدَ النمر، وجلدَ الأرقم» كناية عن العداوة . وكذلك قولهم: «قلبتُ له ظهرَ المِجَنّ» كناية عن تغيير المودّة . ويقول القوم: فلانٌ بريءُ الساحة، إذا برّؤوه من تُهمة . ورحب الذراع، إذا كان كثير المعروف . وطويل الباع في الأمر، إذا كان مقتدراً فيه . وقويُّ الظهر، إذا كثُرَ ناصروه . ومن ذلك أن المنصور كان في بستانٍ له، أيامَ محاربته إبراهيم بن عبد الله بن الحسن فنظر إلى شجرةٍ خلاف فقال للربيع: ما هذه الشجرةُ؟ فقال: طاعةٌ يا أمير المؤمنين . فتفاءلَ المنصورُ به، وعجبَ من ذكائه . ومثلُ ذلك: أنّ رجلاً مرّ في صحنِ دارِ الرشيد، ومعه حزمةُ خَيْزُران، فقال الرشيد للفضل بن الربيع: ما ذاك؟ فقال: عروقُ الرماح يا أميرَ المؤمنين . وكره أن يقولَ «الخَيزُران» لموافقته اسمَ والدةِ الرشيد . ومن كلامهم: «فلانٌ طويلُ الذّيل»، يريدون أنه غنيٌّ حسَنُ الحال . وعليه قولُ الحريري:

إنّ الغريبَ الطويلَ الذيل ممتهَنٌ ... فكيفَ حالُ غريبٍ مالَه قوتُ؟

وكذلك قولُهم: فلانٌ طاهر الثوب . أي منزّهٌ عن السيئات . وفلانٌ دَنِسُ الثوب أي متلوّث بها . قال امرؤ القيس:

ثيابُ بني عوفٍ طَهارى نقيةٌ ... وأوجُهُهم عندَ المشاهدِ غراتُ

ويقولون: فلانٌ غمرُ الرداء . إذا كان كثيرَ المعروف عظيمَ العطايا . قال كثيِّر:

غَمْرُ الرداءِ إذا تبسّمَ ضاحكاً ... غَلِقَتْ لضَحكتهِ رقابُ المالِ

ومن الكنايات اللطيفة ما ذكره الأدباءُ في الشيب والكبر، فيقولون: عرضتْ لفلانٍ فترةٌ، وعرضَ له ما يمحو ذنوبَه، وأقمرَ ليلُه . ونوّر غُصنُ شبابه . وفضّضَ الزمانُ أبنوسَه . وجاءه النذير . وقرعَ ناجذَ الحلم . وارتاضَ بلجام الدهر . وأدرك زمانَ الحُنكة . ورفضَ غِرّةَ الصِّبا . ولبّى دواعيَ الحجَى . ومن كناياتهم عن الموت: استأثرَ الله به، وأسعدَه بجواره، ونقله إلى دار رضوانه ومحلّ غفرانه، واختارَ له النقلةَ من دار البَوارِ إلى دارِ =

نعم، قد تَمتَنِعُ إرادةُ المعنى الأصلي في الكناية لخصوص الموضوع كقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾[1] وكقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾[2] كناية عن تمام القدرة، وقوّة التمكُّن والاستيلاء.

وتنقسم الكنايةُ بحسبِ المعنى الذي تشير إليه إلى ثلاثة أقسام:

١- كناية عن صفة، كما تقول: هو ربيبُ أبي الهول. تكني عن شدّةِ كتمانهِ لسرِّه. وتُعرفُ كنايةُ الصفة بذكرِ الموصوف، ملفوظاً من سياق الكلام.

٢ - كناية عن موصوف، كما تقول: «أبناءُ النِّيل» تَكْني عن المصريين، و «مدينة النُّور» تكني عن باريس. وتُعرف بذكرِ الصفة مباشرةً، أو ملازمةً. ومنها قولهم: «تستغني مصرُ عن مصبِّ النِّيلِ، ولا تستَغْنِي عن منبعهِ». كنَوْا بمنبعِ النيل عن أرضِ السودان.

ومنها قولهم: «هو حارسٌ على ماله» كنَوْا به عن البخيل الذي يجمعُ ماله، ولا ينتفع به. ومنها قولهم: «هو فتى رياضي» يكنونَ عن القوّة، وهلمّ جَرّاً.

٣ - كناية عن نِسْبة، وسيأتي الكلام عليها فيما بعد.

فالقسم الأول - وهو الكنايةُ التي يُطلب بها صفة هي ما كان المكني عنه فيها صفةً ملازمةً لموصوفٍ مذكور في الكلام، وهي نوعان:

أ - كناية قريبة: وهي ما يكونُ الانتقالُ فيها إلى المطلوب بغيرِ واسطةٍ بينَ المعنى المُنتقل عنه، والمعنى المنتقل إليه، نحو قول الخنساء في رثاء أخيها صخر:

= الأبرار . ومن الكنايات أيضاً أن يقامَ وصفُ الشيءِ مقامَ اسمهِ كما ورد في القرآن الكريم: ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ﴾ [القمر: ١٣]، يعني السفينة . فوضعَ صفتَها موضعَ تسميتها، كما ورد: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ﴾ [ص: ٣١]، يعني الخيل . وقال بعض المتقدمين:

سألتْ تُسَيبةُ عن أبيها صَحبَهُ ... في الروحِ هل ركبَ الأغرُّ الأشقرا؟

يعني هل قُتل؟ لأنّ الأغرَّ الأشقر، وصفُ الدم . فأقامه مقامَ اسمه.

(١) سورة الزمر، الآية ٦٧ .

(٢) سورة طه، الآية ٥ .

رفيعُ العِمادِ طويلُ النِّجا دِ سادَ عشيرتَه أمْردا[١]

ب - وكناية بعيدة: وهي ما يكونُ الانتقالُ فيها إلى المطلوب بواسطةٍ، أو بوسائطَ، نحو: «فلانٌ كثير الرَّماد» كنايةٌ عن المضياف. والوسائطُ هي الانتقالُ من كثرة الرّمادِ إلى كثرةِ الاحتراق، ومنها كثرةُ الطبخ والخُبز. ومنها إلى كثرة الضيوف. ومنها إلى المطلوبِ، وهو المضيافُ الكريم.

القسم الثاني - الكنايةُ التي يكونُ المكنيُّ عنه موصوفاً بحيثُ يكون إمّا معنى واحداً، كموطنِ الأسرار، كنايةً عن القلب، وكما في قول الشاعر:

فلمَّا شربناها ودَبَّ دَبيبُها إلى موطنِ الأسرارِ قلتُ لها: قفي

وإمّا مجموعُ معانٍ، كقولك: «جاءني حَيٌّ مُستَوي القامة، عريضُ الأظفار»، (كناية عن الإنسان) لاختصاصِ مجموعِ هذه الأوصاف الثلاثةِ به، ونحو:

الضَّاربينَ[٢] بكلِّ أبيضَ مِخْذَمٍ والطّاعنينَ مجامعَ الأضغانِ

ويُشترطُ في هذه الكناية أن تكونَ الصِّفةُ أو الصِّفاتُ مختصّةً بالموصوف، ولا تتعدّاهُ ليحصُلَ الانتقالُ منها إليه.

القسم الثالث - الكنايةُ التي يُرادُ بها نسبةُ أمرٍ لآخرَ، إثباتاً أو نفياً فيكونُ المكنيُّ عنه نسبةً، أُسندتْ إلى ما لَهُ اتصال به[٣]. نحو قول الشاعر:

إنّ السَّماحةَ والمُروءةَ والنَّدى في قُبَّةٍ ضُربتْ على ابنِ الحَشْرَجِ

---

(١) قصدت الخنساءُ وصفَ صخر بطول القامة والشجاعة، فعدلتِ التصريحَ بما أرادتْ إلى الإشارة إليه بطولِ النجاد لأنه يلزمُ من طولِ حمالة السيف طولُ قامة صاحبه . أو طولُ القامة يلزمُه الشجاعة غالباً . كما أرادتْ وصفَه بالعزّة والسيادة، فلم تصرِّحْ بقصدِها وصرّحتْ بما يستدعي ما أرادتْ فقالت: (رفيع العماد) فرفعةُ العماد تستلزمُ أنه عظيمُ المكانة في قومه عالي الشأن بين عشيرته، لجريان العادة بذلك . وعمدتْ إلى وصفهِ بالجودِ والكرم، فقالت: (كثير الرماد) تشيرُ إلى كثرةِ الإيقاد للإطعام . وهذا يلزمُه الكرم .

(٢) الضاربين: منصوب بأمدحُ المحذوف . والأبيض: السيف . والمخذم: بكسر الميم وسكون الخاء وفتح الذال المعجمتين: القاطع . والأضغان: جمع ضغن وهو ما انطوى عليه الصدر من الحقد . كنى الشاعر بمجامع الأضغان عن القلوب، وهي لا كنايةُ صفة، و لا كنايةُ نسبة، بل هي كنايةُ موصوف .

(٣) أي يكون المكني عنه فيها ذاتاً ملازمة للمعنى المفهوم من الكلام .

فإنّ جعلَ هذه الأسماء الثلاثةِ في مكانهِ المُختصّ به يستلزمُ إثباتَها له. والكِنايةُ المطلوبُ بها نسبةٌ:

أ - إمّا أن يكونَ ذو النِّسبةِ مذكوراً فيها، كقول الشاعر:

اليُمنُ يَتْبَعُ ظِلَّهُ والمجدُ يمشي في رِكابِهْ

ب - وإمّا أن يكونَ ذو النّسبةِ غيرَ مذكور فيها، كقولك: «خيرُ الناس مَن ينفعُ الناس». كناية عن نفي الخيرية عمَّن لا ينفعُهم.

وتنقسمُ الكنايةُ أيضاً باعتبارِ الوسائط (اللوازم) والسِّياق إلى أربعة أقسام: تعريضٍ، وتلويحٍ، ورمزٍ، وإيماء.

١ - فالتعريضُ لغةً: خلافُ التَّصريح. واصطلاحاً: هو أنْ يُطلَقَ الكلامُ، ويُشارَ به إلى معنى آخر يُفهمُ من السياق، نحو قولك للمؤذِي: «المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلمونَ مِنْ لسانِهِ ويَده» تعريضاً بنفي صفة الإسلام عن المؤذي، وكقول الشاعر:

إذا الجودُ لم يُرزَقْ خَلاصاً من الأذى فلا الحمدُ مكسوباً ولا المالُ باقيا

٢ - والتّلويحُ لغةً: أن تُشيرَ إلى غيرِكَ من بُعدٍ. واصطلاحاً: هو الذي كَثُرَتْ وسائطُه بلا تعريضٍ، نحو:

وما يَكُ فيَّ من عيبٍ فإنّي جبانُ الكلبِ مهزولُ الفَصيلِ

كَنى عن كرم الممدوح بكونه جبانَ الكلبِ، مهزولَ الفصيل، فإنّ الفكرَ ينتقلُ إلى جُملة وسائطَ.

٣ - والرَّمزُ لغةً: أنْ تُشيرَ إلى قريبٍ منك خِفْيةً، بنحو: شَفَة، أو حاجِب. واصطلاحاً: هو الذي قَلَّتْ وسائطُه، مع خفاءٍ في اللزوم بلا تعريض. نحو: فلانٌ عريضُ القفا، أو عريضُ الوِسادة، كنايةً عن بلادته وبلاهته، ونحو: هو مُكتَنِزُ اللحم، كناية عن شجاعته. ومُتناسبُ الأعضاء، كناية عن ذكائه. ونحو: غَليظُ الكبد، كناية عن القسوة. وهلمّ جرّاً.

والإيماءُ أو الإشارةُ: هو الذي قَلَّتْ وسائطُه، مع وضوحِ اللّزوم بلا تعريضٍ، كقول الشاعر:

أوَ مَا رَأيْتَ المجدَ ألقَى رحلَه في آلِ طلحةَ ثمَّ لم يَتَحوَّلِ؟

كناية عن كونهم أمجاداً أجواداً، بغاية الوضوح.

ومن لطيف ذلك قولُ بعضِهم:

سألتُ النَّدى والجُودَ مالي أراكُما ... تَبَدَّلْتُما ذُلاً بعزٍّ مُؤَبَّدِ؟
وما بالُ رُكنِ المجْدِ أمْسَى مُهَدَّماً؟ ... فقالا: أُصِبْنا بابنِ يحيى محمَّدِ
فقلت: فهلا مُتُّما عندَ موتهِ! ... فقد كنتُما عَبْدَيْه في كلِّ مشهدِ
فقالا: أقمنا كي نُعَزَّى بفقدهِ ... مَسافةَ يومٍ ثم نتلوهُ في غَدِ

والكِنايةُ من ألطفِ أساليب البلاغة وأدقِّها. وهي أبلغُ من الحقيقة والتصريح، لأنّ الانتقالَ فيها يكونُ من الملزومِ إلى اللازم. فهو كالدَّعوى ببيِّنة، فكأنّك تقولُ في «زيدٌ كثيرُ الرماد» زيدٌ كريم، لأنّه كثيرُ الرماد. وكثرتُه تستلزمُ كذا إلخ، كيف لا وأنّها تُمكِّنُ الإنسانَ من التّعبيرِ عن أمورٍ كثيرة، يتحاشى الإفصاحَ بذكرها، إمّا احتراماً للمخاطب، أو للإبهام على السامعين، أو للنَّيل من خصمه، دونَ أن يدعَ له سبيلاً عليه، أو لتنزيه الأذنِ عمّا تنبو عن سماعه. ونحو ذلك من الأغراض واللطائف البلاغية.

تمرين

بيّن أنواع الكنايات الآتية. وعيّن لازم معنى كلّ منها:

- قال البحتري يصفُ قَتْلَه ذئباً:

فأَتْبعتُها أُخرى فأَضْلَلْتُ نَصْلَها ... بحيثُ يكونُ اللبُّ والرُّعْبُ والحِقْدُ[1]

- وقال آخرُ في رثاءِ مَن ماتَ بعِلّةٍ في صدره:

ودَبَّتْ له في مَوطنِ الحِلْمِ عِلّةٌ ... لها كالصِّلالِ الرُّقْشِ شَرُّ دَبيبِ[2]

---

(١) ضمير أتبعتُها يعودُ على الطعنة . وأضللتُ: أخفيتُ . والنصل: حديدة السيف . واللب: العقل . والرعب: الفزع والخوف . واعلم أن الكناية إما حسنة: وهي ما جَمعتْ بين الفائدة ولطفِ الإشارة كما في الأمثلة السابقة . وإما قبيحة: وهي ما خلتْ عن الفائدة المرادة . وهي معيبة لدى أربابِ البيان، كقول المتنبي:

إني على شغفي بما في خمرها ... لأعفُّ عما في سراويلاتها

كناية عن النزاهة والعفة . إلا أنّها قبيحة لسوء تأليفها وقبح تركيبها .

(٢) الصلال: جمع صِلّ بالكسر ضربٌ من الحيّات صغير أسود لا نجاةَ من لدغته . =

- ووصفَ أعرابيٌّ امرأةً، فقال: تُرْخي ذَيلَها على عُرْقُوبَيْ نعامة.

- ضَربَتْ سُرادِقَها المهابةُ فوقَه فإذا بدا بادتْ به الأعداءُ
- إنّ الذي ملأَ اللغاتِ مَحاسناً جعلَ الجمالَ وسِرَّه في الضّادِ
- بَنى المجدُ بيتاً فاستقرَّ عمادُه علينا فأعيا الناسَ أن يتحَوّلا
- إنّ ثوبَك الذي المجدُ فيه لَضياءٌ يُزري بكلِّ ضياءِ

تمرين آخر

بيّنْ أنواعَ الكنايات الآتية، وبيّن منها ما يصحُّ فيه إرادة المعنى المفهوم من صريح اللفظ، وما لا يصحّ:

- وصفَ أعرابيٌّ رجلاً بسوءِ العِشرة فقال: كان إذا رآني قَرَّبَ مِنْ حاجبٍ حاجباً.

- وقال أبو نواسٍ في المديح:

فما جَازهُ جُودٌ ولا حَلَّ دُونَهُ ولَكنْ يسيرُ الجُودُ حيثُ يسيرُ

- وتَكْني العربُ عمَّن يُجاهرُ غيرَه بالعداوة بقولهم:

«لبس له جِلْدَ النَّمِر، وجِلْدَ الأرقم»[١] و«قلَبَ له ظهْرَ المِجَنّ»[٢].

- فلانٌ عريضُ الوِساد[٣]، أغمُّ القفا[٤].

- تَجولُ خَلاخِيلُ النِّساءِ ولا أَرَى لرَمْلَةَ خَلخالاً يَجُولُ ولا قُلْبا[٥]

- وتقولُ العربُ في المديح: «الكرمُ في أثناء حُلَّته». ويقولون: «فلانٌ نفخَ شِدْقَيْه» - أي تكبّر - «ووَرِمَ أنفُه» إذا غضب.

= والرقش: جمع رقشاء، وهي التي فيها نقط سوداء في بياض، والحيةُ الرقشاء من أشد الحيات إيذاء.

(١) الأرقم: الحية فيها سواد وبياض.

(٢) المجنّ: الترس. وقلبَ له ظهرَ المجنّ، مثَلٌ يضربُ لمن كان لصاحبه على مودّةٍ ورعاية، ثم حالَ عن العهدِ وتغيّرتْ أحوالُه.

(٣) عريض الوساد: أي طويلُ العنق إلى درجة الإفراط. وهذا مما يستدلّ به على البلاهة وقلة العقل.

(٤) الغَمم: غزارة الشعر، حتى تضيقَ منه الجبهةُ أو القفا. وكان يزعُمُ العربُ أنّ ذلك دليلٌ على الغباوة.

(٥) رملة اسم امرأة. والقُلب: بالضمّ السوار.

- قالت أعرابيةٌ لبعض الولاة: «أشكو إليكَ قِلَّةَ الجرْذَانِ»[١].

- بِيضُ المطابخِ لا تَشْكو إماؤهمُ طَبْخَ القُدورِ ولا غَسْلَ المناديلِ
- مَطْبخُ داودَ في نَظافَتِهِ أشْبَهُ شيءٍ بعَرْشِ بِلْقيسِ[٢]
ثيابُ طَبّاخِهِ إذا اتَّسَخَتْ أَنْقى بياضاً من القراطيسِ[٣]
- فتًى مُخْتَصَرُ المأكو لِ والمَشروبِ والعِطْرِ
نَقِيُّ الكَأسِ والقَصْعـ ـةِ والمِنديلِ والقِدْرِ

- وقال آخر:

اليُمْنُ يتبعُ ظِلَّهُ والمجدُ يمشي في رِكابِهْ
- أصبحَ في قيدِكَ السماحَةُ والـ ـمجدُ، وفضلُ الصَّلاحِ والحسَبِ
- فلسْنا على الأعقابِ تَدْمى كُلومُنا ولكنْ على أقدامِنا تَقْطُرُ الدِّما[٤]

- المجدُ بينَ ثَوْبَيك، والكرمُ مِلءُ بُردَيك.

بلاغة الكناية

الكِناية مظهرٌ من مظاهر البلاغة، وغايةٌ لا يَصل إليها إلا من لَطُف طبعُهُ، وصَفَتْ قريحتُه، والسِّرُّ في بلاغتها أنها في صُور كثيرةٍ تُعْطيكَ الحقيقةَ مصحوبةً بدليلها، والقضيةَ وفي طَيِّها بُرْهانُها، كقول البحتري في المديح:

يَغضُّونَ فضلَ اللَّحْظِ مِنْ حيثُ ما بَدا لَهُمْ عنْ مَهيبٍ في الصُّدورِ مُحَبَّبُ

فإنّه كنى عن إكبارِ الناسِ للممدوح، وهيبَتِهم إيّاه، بغَضِّ الأبصارِ الذي هو في الحقيقة بُرهانٌ على الهيبة والإجلال. وتظهرُ هذه الخاصّة جَليَّةً في الكنايات عن الصِّفةِ والنِّسبة.

ومن أسباب بلاغةِ الكنايات أنها تضَعُ لكَ المعاني في صورة

---

(١) الجرذان: جمع جُرَذ، وهو ضربٌ من الفأر.

(٢) بِلقيس: بكسر الباء ملكة سبأ، وسبأ: عاصمة قديمة لبلاد اليمن.

(٣) القراطيس: الورق.

(٤) الأعقاب: جمع عقب، وهو مؤخر القدم. والكلوم: الجراح، يقول: نحنُ لا نُولي فنجرح في ظهورنا فتقطرُ دماءُ كلومنا على أعقابنا. ولكنا نستقبلُ السيوفَ بوجوهنا، فإن جُرحنا قطرت الدماءُ على أقدامنا.

المحسوسات. ولا شكّ أنّ هذه خاصةُ الفنون، فإنّ المصوّرَ إذا رسمَ لك صورةً للأملِ أو لليأس، بهَرَك وجَعلك ترى ما كنتَ تعْجِزُ عن التّعبير عنه واضحاً ملموساً.

فمثلُ «كثير الرماد» في الكناية عن الكرم، «ورسولُ الشّرِّ» في الكناية عن المِزاح، وقول البحتري:

أوَ ما رأيتَ المجْدَ ألْقَى رَحْلَهُ في آلِ طلحةَ ثمّ لم يتحوَّلِ؟

وذلك في الكناية عن نسبةِ الشرف إلى آل طلحة.

كل أولئكَ يُبرزُ لك المعاني في صورةٍ تُشاهدها، وترتاحُ نفسُك إليها. ومن خواصِّ الكناية أنها تمكِّنُك من أن تَشفيَ غُلَّتَك من خصمك من غير أن تجعلَ له إليكَ سبيلاً، ودون أن تَخْدِشَ وجهَ الأدب. وهذا النوع يسمّى بالتّعريض.

ومثالُه قول المتنبي في قصيدةٍ، يمدحُ بها كافوراً ويُعرِّضُ بسيفِ الدولة:

رَحلْتُ فكمْ باكٍ بأجفانِ شادنٍ عليَّ وكمْ باكٍ بأجفانِ ضَيْغَمِ[1]
وما رَبَّةُ القُرْطِ المليحِ مكانُهُ بأجْزَعَ من رَبِّ الحُسامِ المُصمِّمِ[2]
فلَوْ كان ما بي من حبيبٍ مُقَنَّعٍ[3] عَذَرْتُ ولكنْ من حبيبٍ مُعَمَّمِ[4]
رَمى واتّقى رَمْيي ومِنْ دُونِ ما اتّقى هوًى كاسرٌ كَفّي وقوْسي وأسهُمي
إذا ساءَ فِعْلُ المرءِ ساءَتْ ظُنونُهُ وصَدَّقَ ما يَعتادُه مِنْ تَوَهُّمِ

فإنّه كنى عن سيف الدولة أولاً بالحبيب المعمَّم. ثم وصفه بالغدر الذي يدّعي أنّه من شِيمَةِ النساء، ثمّ لامهُ على مُبادَهَتِهِ بالعُدوان، ثمّ رماه بالجُبْنِ لأنّه يَرمي ويتّقي الرَّميَ بالاستتارِ خلفَ غيرِه. على أنّ المتنبي لا يُجازيهِ على

(١) الشادن: ولد الغزال . والضيغم: الأسد . أرادَ بالباكي بأجفانِ الشادن: المرأة الحسناء، وبالباكي بأجفان الضيغم: الرجل الشجاع . يقول: كم من نساءٍ ورجالٍ بكَوا على فراقي، وجزعوا لارتحالي .

(٢) القرط: ما يعلق في شحمة الأذن . والحسام: السيف القاطع . والمصمم: الذي يصيبُ المفاصل ويقطعها . يقول: لم تكنِ المرأةُ الحسناء بأجزعَ على فراقي من الرجل الشجاع .

(٣) أي صاحبة القناع، المرأة .

(٤) أي صاحب العمامة، الرجل .

الشرِّ بمثلِهِ، لأنه لا يزالُ يحملُ له بين جوانحهِ هوًى قديماً، يكسرُ كفَّهُ وقوسَه، وأَسْهُمَه، إذا حاول النِّضال. ثم وصفه بأنه سَيّئ الظنّ بأصدقائه لأنه سيئُ الفعل، كثيرُ الأوهام والظنون، حتى ليظنُّ أن الناسَ جميعاً مثله في سوء الفعل، وضعف الوفاء. فانظرْ كيف نال المتنبي من سيف الدولةِ هذا النَّيْل كله، من غيرِ أن يَذكُرَ من اسمهِ حرفاً؟

هذا، ومن أوضحِ مُميزات الكنايةِ التعبيرُ عن القبيح بما تسيغُ الآذانُ سماعَه، وأمثلةُ ذلك كثيرةٌ جدّاً في القرآن الكريم وكلام العرب. فقد كانوا لا يعبِّرون عمّا لا يحسُنُ ذكرُه إلا بالكناية. وكانوا لشدَّة نخْوتِهم يَكْنُونَ عن المرأة بالبَيْضة، والشاة.

ومن بدائعِ الكنايات قولُ بعض العرب:

ألا يا نَخْلَةً مِنْ ذاتِ عِرْقٍ عَلَيْكِ وَرَحْمَةُ اللهِ السلامُ

فإنه كَنى بالنخلة عن المرأةِ التي يحبّها. (عن البلاغة الواضحة بتصرُّف).

أثرُ علم البيان في تأدية المعاني

ظهرَ لكَ من دراسةِ علم البيان أن مَعنًى واحداً يُستطاعُ أداؤه بأساليبَ عِدّةٍ، وطرائقَ مُختلفة، وأنه قد يُوضَع في صُورة رائعةٍ من صُوَرِ التشبيهِ، أو الاستعارة، أو المجاز المرسل، أو المجاز العقلي، أو الكناية. فقد يصفُ الشاعرُ إنساناً بالكرم، فيقول:

يُريدُ المُلوكُ مَدى جَعْفَرٍ ولا يَضْنعونَ كما يَصنعُ

ولَيْسَ بأوسعِهِمْ في الغِنى ولكنّ مَعروفَهُ أوسَعُ

وهذا كلامٌ بليغٌ جدّاً، مع أنه لم يُقْصد فيه إلى تشبيهٍ أو مجازٍ. وقد وصفَ الشاعرُ فيه ممدوحَه بالكرم، وأنّ الملوكَ يريدونَ أن يَبلغوا منزلته، ولكنهم لا يشترون الحمدَ بالمال كما يفعلُ، مع أنه ليس بأغنى منهم، ولا بأكثرَ مالاً.

وقد يعمدُ الشاعرُ، عندَ الوصفِ بالكريم، إلى أسلوبٍ آخرَ، فيقول:

كالبَحْرِ يَقْذفُ للقريبِ جَواهراً جُوداً ويَبْعثُ للبعيدِ سَحائبا

فيشبِّه الممدوح بالبحر، ويَدفعُ بخيالك إلى أن يُضاهيَ بينَ الممدوح والبحر الذي يقذفُ الدُّررَ للقريب، ويرسلُ السحائبَ للبعيد. أو يقول:

هُو البَحْرُ مِنْ أيِّ النّواحي أتيتَهُ فلُجَّتُهُ المعروفُ والجُودُ ساحِلُهْ

فيدّعي أنه البحرُ نفسُه، وينكرُ التشبيه نُكراناً يدلُّ على المبالغة، وادّعاءِ المماثلة الكاملة. أو يقول:

عَلا فما يَستقِرُّ المالُ في يدهِ وكيف تُمسِكُ ماءَ قُنَّةُ[1] الجَبلِ؟

فيرسلُ إليك التشبيه من طريقٍ خفيٍّ، ليرتفعَ الكلامُ إلى مرتبةٍ أعلى في البلاغة، وليجعلَ لكَ من التشبيه الضمنيّ دليلاً على دعواه، فإنّه ادّعى أنه لعُلوِّ منزلتهِ ينحدرُ المالُ من يديه، وأقام على ذلك برهاناً. فقال: «وكيف تُمسِكُ ماءَ قُنّةُ الجبل». أو يقول:

جَرى النَّهرُ حتّى خِلْتُهُ مِنْكَ أنْعُماً تُساقُ بلا ضَنٍّ وتُعطى بلا مَنِّ[2]

فيُقلبُ التشبيه زيادةً في المبالغة، وافتناناً في أساليب الإجادة. ويُشبهُ ماءَ النهر بنعَمِ الممدوح بعد أن كان المألوفُ أن تُشَبّه النِعمُ بالنَّهر الفيّاض. أو يقول:

كأنّه حِينَ يُعطِي المالَ مُبتسِماً صَوْبُ الغمامةِ تهْمي وهي تَأْتَلِقُ[3]

فيعمدُ إلى التشبيه المركب، ويُعطيكَ صورةً رائعةً، تمثِّلُ لك حالةَ الممدوح وهو يجودُ، وابتسامةُ السرور تعلو شفتيه. أو يقول:

جادتْ يدُ الفتحِ والأنواءُ[4] باخلةٌ وذابَ نائلُهُ والغَيْثُ قد جَمَدا

فيُضاهي بين جود الممدوح والمطر، ويدّعي أنّ كرمَ ممدوحه لا ينقطعُ، إذا انقطعتِ الأنواء، أو جمد القطرُ. أو يقول:

قد قُلْتُ للغيمِ الرُّكامِ وَلَجّ في إبراقِهِ وألحَّ في إرعادِهِ[5]:

---

(١) قمته، ذروته .

(٢) الضنّ: البخل . والمنّ: الامتنان بتعداد الصنائع .

(٣) تهمي: تسيل . وتأتلق: تلمع .

(٤) الأنواء: مفردُها نَوْء، وهو الطقس .

(٥) الغيم الركام: المتراكم . ولجّ وألحّ: كلاهما بمعنى استمرّ .

لا تَعرِضَنَّ لجعفرٍ مُتشَبِّهاً بندى يديه فلتَ من أندادهِ

فيصرِّحُ لك في جلاء، وفي غيرِ خشيةٍ، بتفضيلِ جودِ صاحبه على جودِ الغيم، ولا يكتفي بهذا، بل تراهُ يَنهى السَّحابَ في صورةِ تهديدٍ أن يُحاولَ التشبُّه بممدوحه، لأنه ليسَ من أمثاله ونظرائه. أو يقول:

وأقْبل يمشي في البِساط فما دَرى إلى البحرِ يَسْعى أم إلى البَدْرِ يَرتقي؟

يصفُ حالَ رسولِ الروم داخلاً على سيف الدولة، فيَنزعُ في وصف الممدوح بالكرم، إلى الاستعارَة التصريحية.

والاستعارةُ كما علمتَ مبنية على تناسي التشبيه، والمبالغةُ فيها أعظم، وأثرُها في النفوس أبلغ. أو يقول:

دَعوتُ نَداهُ دَعوةً فأجابَني وعَلَّمني إحسانُهُ كيفَ آمُلُهْ

فيُشبِّه نَدى ممدوحه وإحسانه بإنسان، ثم يحذفُ المشبهَ به، ويرمُز إليه بشيء من لوازمهِ، وهذا ضربٌ آخرُ من ضروبِ المبالغة التي تُساقُ الاستعارةُ لأجلها. أو يقول:

ومَنْ قصَدَ البحرَ استقلَّ السَّواقيا

فيرسلُ العبارةَ كأنّها مثَلٌ، ويصوِّرُ لك أنّ من قصدَ ممدوحَه استغنى عمّن هو دونه. كما أن قاصدَ البحر لا يأبهُ للجداول، فيُعطيكَ استعارةً تمثيلية، لها روعة، وفيها جمال، وهي فوقَ ذلك تحملُ برهاناً على صدقِ دعواه، وتؤيِّد الحال الذي يدَّعيها. أو يقول:

ما زِلْتَ تتبعُ ما تُولي يَداً بيدِ حتّى ظَننْتُ حياتي مِن أياديكا

فيعدلُ عن التشبيه والاستعارة إلى المجاز المرسل، ويطلقُ كلمة «يد» ويريدُ بها النعمة، لأنّ اليد آلةُ النعم وسببها. أو يقول:

أعادَ يومُكَ أيامي لنَضْرتِها واقتصَّ جودُكَ من فقري وإعساري

فيُسندُ الفعلَ إلى اليوم، وإلى الجود، على طريقةِ المجاز العقلي. أو يقول:

فما جازَهُ جُودٌ ولا حَلَّ دونَهُ ولكنْ يسيرُ الجُودُ حيثُ يسيرُ

فيأتي بكنايةٍ عن نِسبةِ الكرم إليه، بادّعاءِ أنّ الجودَ يسيرُ معه دائماً لأنه بدلَ أن يحكمَ بأنه كريم، ادّعى أنّ الكرمَ يسيرُ معه أينما سارَ.

ولهذه الكنايةِ من البلاغة، والتأثير في النفس، وحسنِ تصوير المعنى، فوقَ ما يجدُه السامع في غيرها من بعض ضروب الكلام.

فأنتَ ترى أنه من المستطاع التعبيرُ عن وصفِ إنسانٍ بالكرم بأربعةَ عشرَ أسلوباً، كلٌّ له جمالُه وحُسنُه وبراعتُه. ولو نشاءُ لأتينا بأساليبَ كثيرةٍ أُخرى في هذا المعنى، فإنّ للشعراء ورجالِ الأدب افتناناً وتوليداً للأساليب والمعاني، لا يكادُ ينتهي إلى حَدّ. ولو أردنا لأوردْنا لك ما يقالُ منَ الأساليب المختلفة الْمَناحِي في صفاتٍ أخرى، كالشجاعة، والإباء، والحزم، وغيرها، ولكنّا لم نقْصِدْ إلى الإطالة، ونعتقدُ أنّك عند قراءتِكَ الشعرَ العربيَّ والآثارَ الأدبية، ستجدُ بنفسك هذا ظاهراً، وستُدهَشُ للمدى البعيدِ الذي وصلَ إليه العقلُ الإنسانيُّ في التصوير البلاغيّ، والإبداع في صَوغ الأساليب. (عن البلاغة الواضحة بتصرف).